www.riwaya.ga

المكتب رقم 6
87

إمبراطورية الشر

شريف سوفي

www.riwaya.ga

www.riwaya.ga

الفصل الأول

حلقت الطائرة المروحية أمام الواجهة الزجاجية للشقة رقم ١٥٠ فى الدور العشرين من ذلك المبنى المرتفع فى إحدى ضواحى المدينة الإيطالية (تورينو).

وسرعان ما تدلى منها ثلاثة مقنعين بواسطة الحبال ليصوبوا أسلحتهم إلى الواجهة الزجاجية مطلقين وابلًا من الطلقات عليها ليهشموها تمامًا .

ثم ما لبثوا أن قفزوا إلى الداخل متجهين مباشرة إلى حجرة النوم .. وهم يصوبون أسلحتهم مجددًا إلى ذلك الشخص المدثر بالغطاء فى فراشه لينهالوا عليه بدفعة أخرى من الطلقات .

وما إن انتهوا حتى اقترب أحدهم لينزع عنه الغطاء الذى امتلأ بالثقوب.

وقد فوجئ هو وزملاؤه أنه لم يكن سوى تمثال بلاستيكى وليس الشخص الذى أرادوا التخلص منه .

وقبل أن يفيقوا من المفاجأة سمعوا صوتًا صغيرًا يأتيهم من أعلى .

فتطلعوا إلى سقف الحجرة ليجدوا (ممدوح) معلقًا فيه بواسطة حلقات مغناطيسية تثبته فى السقف وهو يبتسم لهم بسخرية .

وقبل أن يتغلبوا على وقع المفاجأة الثانية كان قد ألقى عليهم قنبلة دخانية لتغمر المكان .

www.riwaya.ga

وقد سارع بوضع قناع الغاز على وجهه ليحجب عنه تأثير الغاز .

وما إن انقشع الدخان الذى غمر الغرفة حتى كان (ممدوح) جالسًا على المقعد خلف فراشه واضعًا ساقًا على ساق وهو يتطلع إلى الثلاثة الغائبين عن الوعى وهو يقول بسخرية :

ـ أتمنى لكم أحلامًا مزعجة .

وما لبث أن نزع عن أحدهم ثيابه السوداء وقناعه ليرتديهم بدلًا منه ، ثم علق حقيبة جلدية على صدره مغادرًا الغرفة .

حيث كانت الطائرة المروحية ما زالت تحلق أمام الواجهة الزجاجية وقد تدلت منها الحبال الثلاثة .

فأسرع ليتعلق بأحدها صاعدًا إلى كابينة الطائرة .

قال قائد الطائرة مستغربًا :

ـ أين الآخران ؟

قال (ممدوح) بنبرته الساخرة :

ـ يغطان فى نوم عميق .

استدار إليه الطيار فى دهشة فى حين نزع (ممدوح) القناع عن وجهه مستطردًا :

ـ لا أنصحك بانتظارهم فسوف يفيقان عن الوعى لعدة ساعات .

www.riwaya.ga

قال الرجل دون أن تفارقه دهشته :

ـ من أنت ؟

ـ الضحية التى أراد زملاؤك التخلص منها .

حاول الرجل جذب مسدسه لكن (ممدوح) أمسك بمعصمه بقوة ليضرب يده على مسند المقعد بشدة مطيحًا بالمسدس من يده .. ثم عاجله بلكمة قوية قبل أن يطيح به فى الهواء إلى خارج كابينة القيادة وهو يطلق صرخة مدوية .

وسرعان ما قفز (ممدوح) ليجلس أمام مقود الطائرة وهو ينظر إلى الرجل المحلق فى الهواء مغمغمًا :

ـ أنت الذى أردت أن تتعامل معى بخشونة فلا تلم إلا نفسك .

وقام بقيادة الطائرة ليحط بها بعد نصف ساعة فوق أحد الأسطح المعدة لهبوط ذلك النوع من الطائرات .

حيث بادر بمغادرتها .. مستبدلًا الثياب السوداء ببدلة أنيقة كان يحتفظ بها فى حقيبته الجلدية .

ليستقل المصعد داخل المبنى الذى هبط فوقه وهو يحكم رباط عنقه مبتسمًا لمجموعة من الفتيات الجميلات اللاتى ركبن المصعد معه فى إحدى طوابقه .

وما إن غادر المصعد حتى سارع بمغادرة المبنى مشيرًا لأول سيارة أجرة رآها أمامه .

www.riwaya.ga

وقد جلس بداخلها وهو يتحدث فى هاتفه المحمول قائلًا :

ـ أجل يا فندم .. لقد حصلت على الميكروفيلم وأنا فى طريقى الآن إلى المطار .. بضع ساعات وسأكون فى القاهرة وأتوجه بعدها إلى المكتب (١٩) مباشرة .

***

غادر (ممدوح) سيارته ليتجه مباشرة إلى المبنى الداخلى للمكتب رقم (١٩) المقر الرسمى لإدارة العمليات الخاصة .

حيث وجد اللواء (مراد) فى استقباله وبصحبته اثنان من أعوانه وقد صافحه مرحبًا وهو يقول له :

ـ مرحبًا بفارسنا الهمام .

وما لبث أن حدثه أحدهما قائلًا :

ـ حمدًا لله على السلامة يا بطل .

بينما قال الآخر :

ـ كنا فى انتظارك .

ودعاه اللواء (مراد) للجلوس وهو يقول :

ـ كان بودّى أن تحصل على إجازة بعد تلك الأوقات العصيبة التى عشتها فى إيطاليا .. لكن كما تعرف عملنا لا يرحم .

ابتسم (ممدوح) قائلًا بهدوء :

ـ لقد وطدت نفسى على ذلك .

www.riwaya.ga

قال اللواء (مراد) مبتسمًا وهو يجلس فى مواجهته بين معاونيه :

ـ لقد أفلت من ميتة مروعة حقًا كادت أن تحرمنا من خدماتك الجليلة .

ـ أظن أننى مدين لذلك الشخص الغامض الذى اتصل بى ونبهنى إلى الخطر الذى يترصدنى .

سأله (مراد) باهتمام :

ـ ترى من هو ذلك الشخص ؟

ـ هذا ما لم أتمكن من معرفته حتى الآن .. لكننى أعتقد أنه صاحب الرسالة التى أرسلها لى على هاتفى من قبل ليرشدنى إلى مكان الميكروفيلم الذى تمكنت من الحصول عليه .

تحدث أحد أعوان اللواء (مراد) قائلًا :

ـ بمناسبة الميكروفيلم الذى أرسلته لنا .. لقد تبين أنه يحتوى على صور خطيرة بشأن واحد من أكبر مهربى المخدرات فى العالم وهو شخص يدعى (شامل خان) .

أكمل الآخر قائلًا :

ـ (شامل خان) من أصل باكستانى عاش جزءًا من حياته فى باكستان قبل أن ينتقل إلى لندن .. ثم انتقل بعدها إلى المكسيك حيث يمتلك هناك مزرعة كبيرة .. وفندقين سياحيين .. ويختًا .. وثروة هائلة فى البنوك .

اللواء (مراد) :

ـ باختصار هو واحد من كبار الأثرياء فى العالم .. وثروته هذه جمعها من تجارة المخدرات .. خاصة الهيروين رغم أن أحدًا لم يستطع أن يجمع ضده أدلة واضحة ومحددة فى هذا الشأن .

www.riwaya.ga

فقد سجن ثلاث مرات من قبل فى بريطانيا وباكستان .. وفى مصر أيضًا لكن المحاكم برأته لعدم كفاية الأدلة .

(ممدوح) :

ـ إذن فقد جاء إلى مصر من قبل .

ـ منذ عدة أعوام .. وتم إحباط عملية تهريب ضخمة لكميات غير مسبوقة من الهيروين إلى مصر لكن المسئولين عنها نجحوا فى الهرب فى اللحظات الأخيرة .

وكانت المعلومات المتوفرة لدينا ولدى إدارة مكافحة المخدرات أن (شامل خان) هو الذى يقف وراء هذه العملية وأنه حضر إلى مصر خصيصًا للإشراف بنفسه على تنفيذها .

لكن بسبب بعض الثغرات القانونية لم تتمكن المحكمة لدينا من إدانته وتمكن من مغادرة البلاد بعد ثلاثة شهور فقط قضاها فى السجن الاحتياطى .. لكن خطورته بالنسبة لنا لم تنقضِ بعد .

تحدث العميد (رأفت) قائلًا :

ـ ولهذا فنحن نتتبعه منذ فترة .

أمر اللواء (مراد) بعرض صور الميكروفيلم بواسطة آلة البرجكتور على شاشة بيضاء فوق جدار الغرفة .

وسرعان ما ظهرت عدة صور مختلفة لـ (شامل خان) بمفرده وبصحبة بعض الاشخاص .

www.riwaya.ga

حيث أشار اللواء (مراد) إلى أحدهم قائلًا :

ـ انظر إلى هذا الرجل بصحبة (شامل) .. إنه (كرم سليمان) أحد أكبر تجار المخدرات فى مصر .. والذى تمكن من الهرب من سجنه منذ عامين ورحل إلى بيروت .

ويبدو أنه على صلة وثيقة بـ (شامل) كما توضح الصورة .

والمعلومات التى لدينا تشير إلى أنه يجرى الترتيب بينهما لتهريب أكبر شحنة هيروين فى العالم إلى منطقة الشرق الأوسط .. وأن مصر ستكون هى المركز الرئيسى لتلك العملية التى يقودها (شامل) وأعوانه .. عملية تقدر بعشرات المليارات من الدولارات .

عرضت على الشاشة صور أخرى لمنطقة صناعية كبيرة داخل المزرعة .. وبها مجموعة من العمال والماكينات والمخازن .

حيث تحدث المقدم (صلاح) قائلًا :

ـ تلك المصانع التى تراها أمامك والتى تحتل جزءًا من المزرعة تقع ضمن أملاك (شامل خان) .. والمفترض أنها مخصصة لصناعة السكر وتصديره خارج المكسيك .. لكن لدينا شكوك كثيرة عن كونها مجرد ساتر لإخفاء النشاط السرى الحقيقى لـ (شامل) وأعوانه .

وأنها تخفى وراءها معامل تصنيع الهيروين والمخازن المخصصة لتهريبه .

وضع (ممدوح) يديه حول خصره وهو يتأمل الصورة قائلًا :

ـ ألم يتم إبلاغ الحكومة المكسيكية بتلك المعلومات ؟

قال اللواء (مراد) وهو يغادر مكتبه :

ـ أبلغناهم .. لكن الرجل له نفوذ قوى هناك واتصالات وثيقة بكبار المسئولين .. وقد أخبرونا بأنه لا توجد أية دلائل قاطعة على تورطه فى أعمال مشبوهة أو إجرامية وأن الرجل بالعكس يساهم مساهمة فعالة فى خطة التنمية الاقتصادية التى تتبناها حكومة المكسيك .

ـ من الواضح إذن أنه يحظى بالحماية اللازمة من خلال بعض المسئولين الكبار فى المكسيك .. وهذا ما دعاه للاستقرار هناك وممارسة نشاطه السرى باطمئنان .

اللواء (مراد) :

ـ نريد الكشف عن ذلك النشاط السرى والحيلولة دون أن يمتد خطره إلى بلادنا بأى وسيلة .

العميد (رأفت) :

ـ وأن نضع حدًا لإفلات ذلك الرجل من العقاب رغم جرائمه التى تشكل خطرًا داهمًا على بلادنا والكثير من دول العالم .

اقترب اللواء (مراد) من (ممدوح) ليقف فى مواجهته مباشرة قائلًا :

ـ المهمة ليست هيّنة كما ترى لكنك أكفأ شخص لتنفيذها .

ابتسم (ممدوح) قائلًا :

ـ ومتى كانت المهمات التى أكلف بها هيّنة يا فندم ؟ لكنى سأحتاج إلى دعم فنى وبشرى .

ـ ستزود بكل الدعم اللازم .. وهناك أشخاص تابعون لنا ومدربون فى المكسيك سيكونون جاهزين لمساعدتك متى احتجت لهم ، لكن تذكر أن تلك المهمة تحتاج إلى أكبر قدر من السرية والحرص حتى لا نتعرض لمشاكل مع الحكومة المكسيكية .

ـ سأبذل أقصى جهدى للحيلولة دون ذلك .

***

أخذ (ممدوح) يسبح بهمة ونشاط قبل أن يصعد إلى الشاطئ تراقبه أعين الحسناوات المكسيكيات بإعجاب .

وقد توجهت إحداهن إلى المظلة الشمسية التى يسترخى تحتها وهى تبتسم له قائلة :

ـ أنت سباح بارع .

ابتسم لها بدوره قائلًا :

ـ أشكرك على هذا الإطراء .

مدت له يدها مصافحة وهى تقول :

ـ أنا (سوزيتا) .

صافحها قائلًا :

ـ وأنا أدعى (فارس) .

ـ هل يضايقك لو جلست معك قليلًا ؟

ـ بالعكس يسعدنى ذلك .. تفضلى .

أزاحت خصلات الشعر التى تطايرت على جبينها وهى تبتسم قائلة :

ـ هل أعجبتك أكابولكو ؟

قال وهو يرفع النظارة الشمسية عن عينيه ليتأملها :

ـ سمعت الكثير عن جمال هذا المصيف المكسيكى .. لكنى لم أظنه بكل هذه الروعة .

ـ يسمونه شاطئ الأثرياء .. فلا بد أن الإقامة هنا تكلفك كثيرًا .

قال لها مبتسمًا :

ـ لا بأس فأنا رجل أعمال ويمكننى تحمل تكلفة قضاء أسبوع فى هذا المكان المبهج إلا إذا كنت أتحدث الآن مع موظفة ضرائب .

ضحكت قائلة :

ـ كلا .. لست موظفة ضرائب كما أنك لست رجل أعمال يا مستر (فارس) .. أم تحب أن أدعوك باسمك الحقيقى يا سنيور (ممدوح) ؟

نظر إليها بدهشة وهو يعتدل فى جلسته قائلًا :

ـ من أنت ؟

قالت والابتسامة لا تفارقها :

ـ ما زلت (سوزيتا) فلست بحاجة للتخفى وراء اسم مستعار .

ـ إذن فأنتِ .....

ـ مساعدتك الخاصة فى المكسيك .. إذا لم يكن لديك مانع .

تأملها فى صمت .. فعادت لتبتسم قائلة :

ـ هل خاب أملك ؟

ـ إلى حد ما .

ـ لأننى فتاة .

ـ بل لأننى ظننتكِ تتقربين لى إعجابًا .

ـ أنا فتاة عملية وبارعة فى عملى وإلا ما كانوا قد عهدوا لى بعمل يعجز عنه الكثير من الرجال .. ومع ذلك فأنا معجبة بك بالفعل .

قال لها مازحًا :

ـ الحمد لله .. هكذا اطمأننت على أننى لم أفقد تأثيرى بعد .

ـ دعنا نتحدث فى العمل الجاد .. هل تعرف أنك تنزل فى أحد الفنادق التى يمتلكها (شامل) هنا ؟

ـ أعرف بالطبع .. وهو ما دعانى إلى اختياره خصيصًا .. خاصة بعد أن عرفت أنه يقضى إجازته الصيفية فى نفس الفندق .

ـ وما الذى تبغيه من وراء ذلك ؟

ـ أن ألفت انتباهه .

ـ لكن هذا قد ينطوى على شىء من الخطر .

ابتسم قائلًا :

ـ عزيزتى لقد أصبحت فى دائرة الخطر منذ أن وضعت أقدامى هنا .

ـ ما رأيك ؟ هل تريد أن أقدمك إليه ؟

ـ إذا كان هذا بإمكانك .

ـ بإمكانى أن أفعل أشياء كثيرة كما قلت لك .

ـ إذن دبرى لى موعدًا معه فى أقرب وقت .

تناولت قلمًا وأجندة صغيرة من فوق المنضدة المجاورة له لتسطر عليها رقمًا قدمته له قائلة :

ـ هذا رقم هاتفى إذا ما احتجت لى .

ثم نهضت وهى ترفع كأسها قائلة :

ـ أتمنى لك حظًا سعيدًا سنيور (ممدوح) فأنت بحاجة إليه بالفعل .

رفع بدوره كوب العصير المجاور له قائلًا :

ـ وأنا أيضًا أتمنى لك هذا الحظ بعد أن صرنا شركاء فى هذه المهمة العصيبة .

* * *

الفصل الثانى

كان الرجل ضخم الجثة قصير الشعر الذى يتخلله شىء من الشيب وكذلك كانت لحيته القصيرة .. أما عيناه فكانتا حادتى النظر بشكل مخيف .

وقد أخذت تلك العينان تتفحصان (ممدوح) وهو يصافحه فى جناح الفخم والمطل على حمام السباحة مباشرة قائلًا :

ـ أهلًا بك سنيور (فارس) .

ـ أهلًا بك سنيور (شامل) .

دعاه إلى الجلوس قائلًا :

ـ هل هذه هى أول زيارة لك للمكسيك ؟

ـ فى الحقيقة هى أول زيارة لى لأكابولكو .

ـ أكابولكو من أجمل الشواطئ السياحية فى العالم .

ـ هذا ما تبينته بالفعل .

وفى تلك اللحظة أحضر الخـادم صينية عليها بعض المشروبات والعصائر .

وقد لاحظ (ممدوح) أن هناك شخصًا آخر طويل القامة دقيق الملامح ويضع على عينيه نظارة ذات عدسات طبية قد جلس فى نهاية الحجرة ليرقب (ممدوح) من آنٍ لآخر بنظرات مدققة .

أشار (شامل) إلى كوكتيل من العصائر أمام (ممدوح) قائلًا :

ـ تفضل سنيور (فارس) أنصحك بتناول هذا الكوكتيل فهو كوكتيل مكسيكى خاص ليس له نظير فى العالم .

تناول (ممدوح) العصير وهو يعاود النظر إلى ذلك الشخص فى نهاية الحجرة من آنٍ لآخر .

بينما بادره (شامل) قائلًا :

ـ علمت أنك تريد أن تتحدث معى بشأن إحدى الصفقات .

قال (ممدوح) بجدية :

ـ أنا رجل أعمال لبنانى لى نشاطات عديدة فى مجال المشروبات والتغذية وكنت أفكر فى شراء كمية من السكر الذى تنتجه مصانعك لما لها من شهرة عالية لتصديرها إلى لبنان وسوريا والأردن إذا ما كانت الشروط ملائمة .

قال (شامل) بتأنٍّ :

ـ وما هى الكمية التى ترغب فى شرائها ؟

ـ بدايةً أربعة أطنان منها طن فى صورة سكر مكعبات .

ـ هذا عرض لا بأس به .

ـ ماذا بالنسبة للسعر ؟

ـ يمكنك أن تتحدث فى هذا الشأن مع مدير أعمالى سأجعله يلتقى بك غدًا فى الوقت الذى يناسبك ليتحدث معك عن كل الأمور المتعلقة بإتمام الصفقة ومن بينها الأسعار .. واطمئن سأخبره بأن يتهاود معك فى الثمن باعتبار أنها أول عملية بيننا .

ابتسم (ممدوح) قائلًا :

ـ أشكرك سنيور (شامل) .. لى فقط طلب واحد قبل توقيع العقد النهائى .

ـ وما هو ؟

ـ أريد أن ألقى نظرة عن قرب على مصانع إنتاج السكر التى تخصك .

نظر إليه بارتياب قائلًا :

ـ لماذا ؟ لا أظن أنك تريد الاطمئنان على جودة المنتج الذى أصدّره .. فالسكر الذى يحمل اسم شركتى من أجود الأنواع عالميًا .

ـ وهذا ما يدعونى إلى الرغبة فى رؤية الإنتاج عن قرب .. لأننى من المعجبين بجودة ما تنتجه خاصة أننى أرغب فى إنشاء مصنع صغير فى بيروت وربّما لو اقتبست بعض خبرتك وتميزك فى هذا الشأن .

ضحك (شامل) قائلًا فى سخرية :

ـ هل تريد أن تنافسنى فى السوق يا سنيور (فارس) ؟

ابتسم (ممدوح) قائلًا :

ـ لا أظن أننى أستطيع ذلك .. فقط أريد أن أضمَن لى إنتاج طن من السكر الفائق الجودة بجانب الاستيراد .

صمت (شامل) برهة قبل أن يقول :

ـ سأفكر فى هذا الأمر يا عزيزى .. وأدع وكيلى يخبرك بقرارى بشأن ذلك غدًا .

صافحه (ممدوح) قائلًا :

ـ أشكرك سنيور (شامل) .. سأنتظر الرد غدًا .

وانصرف (ممدوح) تتبعه نظرات (شامل) الذى التفت إلى الرجل الجالس فى ركن الحجرة قائلًا :

ـ ما رأيك فيما قاله هذا الرجل ؟

قال الرجل وهو يغادر مكانه بعد أن تجرع جرعة من شرابه :

ـ الأمر يدعو إلى الارتياب .. أنا لا أرتاح إليه .

أشعل (شامل) سيجاره لينفث دخانه فى الهواء وهو يغمغم قائلًا :

ـ وأنا كذلك .

اقترب منه الرجل وهو يمسح عدسات نظارته بقطعة صغيرة من القماش قائلًا :

ـ لقد طلبت بالفعل جمع معلومات عنه .. وسأحصل على تلك المعلومات غدًا على الأكثر .

ـ أريد أن تكون تلك المعلومات جاهزة أمامى قبل أن تلتقى به غدًا .

قال الرجل وهو يعيد وضع عدسات النظارة فوق عينيه :

ـ سيكون لك ما تريد سنيور (شامل) .

• • •

لوحت له الفتاة وهى تتوقف بسيارتها أمام النادى الرياضى الذى يلعب لنوّه .

فاقترب منها مبتسمًا وهو يقول :

ـ تزدادين جمالًا فى كل مرة ألقاك فيها (سوزيتا) .

ضحكت قائلة :

ـ تعرف كيف تطرى على الفتاة سنيور (ممدوح) .. يبدو أنك لست متفوقًا فى عملك فقط بل تجيد المجاملة أيضًا .

جلس إلى جوارها قائلًا :

ـ من قال إننى أجاملك ؟ هذا ما أراك عليه بالفعل .

تأملته قائلة بإعجاب :

ـ بزة رياضية جميلة تلك التى ترتديها وهى تناسبك تمامًا .

ضحك بدوره قائلًا :

ـ أنت أيضًا تعرفين كيف ترضين غرور الرجل .

انطلقت بالسيارة وقد قال لها بجدية هذه المرة :

ـ إلى أين نحن ذاهبان ؟

ـ إلى حيث تلتقى بكتيبة الخفافيش .

نظر إليها باستغراب قائلًا :

ـ كتيبة ماذا ؟

قالت مبتسمة :

ـ إنهم مجموعة مكونة من عشرة أشخاص .. لكن لديهم قدرات غير عادية تساوى جيشًا بأكمله ستتعرف عليها بنفسك حينما تلتقى بهم .

ـ وما سر تسميتهم بالخفافيش ؟

ـ هذا أيضًا ستعرفه عندما تلتقيهم .

التفت خلفه قائلًا :

ـ فليكن .. لكن ما أعرفه الآن هو أن تلك السيارة الحمراء لا بد وأنها لا تلاحقنا بسبب ما تبدين عليه من جمال فائق وإن كنتِ تستحقين ذلك .

قالت بجدية وهى تنظر فى المرآة المعلقة بجوار نافذة السيارة :

ـ لقد لاحظت ذلك أيضًا .. يبدو أنك بدأت تثير اهتمامهم .

ـ تقصدين ارتيابهم .

هدأت من سرعة السيارة التى تقودها قليلًا قبل أن تتوقف على طريق جانبى لتسمح للسيارة المطاردة أن تتجاوزها .

وبالفعل تجاوزتها السيارة لتواصل طريقها .

لكن ما إن تحركت بسيارتها مرة أخرى حتى لمحا سيارة ثانية تتبعها قبل أن تبزغ السيارة الأولى من طريق جانبى لتنضم إلى الثانية .

قال (ممدوح) ساخرًا وهو يعاود النظر إلى الخلف :

ـ ربما لو توقفت من جديد لوجدنا سيارة ثالثة تنضم إلى كل ذلك الموكب الذى أعدوه للاحتفال بى .. هذا يشعرنى بقدر كبير من الأهمية .

قالت له متوجسة :

ـ هذا يؤكد أن شخصية رجل الأعمال التى قدمت نفسك لهم بها لم تنطل عليهم .

ـ من الطبيعى بالنسبة لشخص مثل (شامل) أن يكون مرتابًا فى كل شخص يحاول الاقتراب منه مهما كان ادعاؤه .

قالت وهى تطلق العنان لسيارتها :

ـ المهم بالنسبة لنا الآن أن نتخلص من تلك الملاحقة .. فالمكان الذى سنذهب إليه من السرية بحيث لا يسمح لأحد غير الذين يتعاملون معه بالتعرف عليه .

واتصلت هاتفيًا لتقول :

ـ أنا فى الطريق إليكم .. هناك سيارتان تتبعانى .

بينما قال (ممدوح) وهو يراقب الطريق أمامه :

ـ تكادين تطيرين بالسيارة .

أغلقت الهاتف وهى تبتسم قائلة :

ـ هل تخشى من السرعة الزائدة ؟

ـ فى الحقيقة أحيانًا لا أقل عنك تهورًا .. لكنى لا أريد أن ألقى حتفى فى حادث سيارة مسرعة قبل أن أبدأ مهمتى بعد .

ضحكت قائلة :

ـ ما زلت لا تثق فى قدراتى بعد سنيور (ممدوح) .

ـ ليس الأمر كذلك لكن أصدقاءنا لا يقلون عنك مهارة فى السرعة وكما أرى لديهم سيارتان أحدث وأسرع .

ـ لا تقلق سنيور (ممدوح) .

وفجأة برزت أمامهما شاحنة كبيرة لتجتاز الطريق الضيق عرضيًا .

وقد حدق فيها (ممدوح) بذهول وهو يرى الفتاة تصر على مواصلة القيادة وتكاد تصطدم بها .

حيث ظن أن الاصطدام واقع لا محالة .

لكنها استطاعت بمهارة فائقة أن تنحرف من أمام مقدمة الشاحنة فى مساحة ضيقة للغاية قبل توقفها .

بينما اضطرت السيارتان اللتان تطاردهما إلى التوقف بعد اعتراض الشاحنة طريقهما .

وقد غادرها بعضهم وهو يرغى ويزبد .

واقترب أحدهم من قائد الشاحنة قائلًا بغلظة :

ـ لمَ توقفت هنا ؟

قال له بهدوء :

ـ إحدى العجلات بحاجة للتغيير .

احتد قائلًا :

ـ اذهب لتغيرها بعيدًا عن هنا .

ـ لكنى أخشى ....

وما لبث أن اقترب زميله ليشهر مسدسه فى وجهه قائلًا :

ـ لقد سمعت ما قاله .. هيا اذهب على الفور وإلا لن تجد شاحنتك من يقودها .

قال السائق مستسلمًا :

ـ حسنًا .. حسنًا .. سأبتعد .

وابتعد بسيارته فى حين عادت السيارتان لمطاردة السيارة التى تقودها (سوزيتا) والتى بدت وقد ابتعدت كثيرًا عن مجال رؤيتهم .. مما دعا مطارديها إلى مضاعفة السرعة محاولين اللحاق بها .

لكن أحدًا منهم لم يعرف أن الفتاة والشخص الذى يرافقها قد تم استبدالهما لحظة وقوف الشاحنة ليقفز (ممدوح) و(سوزيتا) عبر الباب الجانبى من الجهة الأخرى إلى داخل الشاحنة ليحل محلهما شاب وفتاة أخرى مشابهة لـ (سوزيتا) ويرتديان ثيابًا مماثلة فى السيارة التى واصلت طريقها .

وبعد نصف ساعة كانت الشاحنة قد توقفت أمام إحدى البوابات المعدنية التى انفتحت أمامها ليغادرها (ممدوح) ورفيقته بالداخل وقد تطلع إلى الأضواء والألعاب التى تملأ المكان بدهشة قائلًا :

ـ ما هذا ؟ مدينة ملاهٍ .

ابتسمت (سوزيتا) قائلة :

ـ مدينة ملاهٍ مكسيكية صغيرة تناسب الأحياء الفقيرة المحيطة بها وربتت على ذراع سائق الشاحنة قائلة :

ـ شكرًا يا (إليساندرو) يمكنك أن تعود الآن .

أحنى رأسه قائلًا :

ـ فى خدمتك سنيورا (سوزيتا) .

واستدار عائدًا بينما بقى (ممدوح) محدقًا فى الألعاب المضيئة والأرجوحات قائلًا :

ـ لا أظن أننى جئت إلى هنا لأتأرجح خاصة أن لدينا ملاهى أفضل من تلك فى بلادى .

ضحكت قائلة :

ـ مدينة الملاهى هذه مجرد تمويه فقط لأعمال أكثر أهمية وقادته إلى مخزن للألعاب فى نهاية المدينة .

حيث قامت بفتح أبوابه قائلة :

ـ تفضل .

كان المكان مظلمًا وازداد ظلمة بعد أن قامت بغلق الباب خلفهما وهى تقول :

ـ لا تنزعج من الظلام سأضىء النور حالًا .

www.riwaya.ga

لكن ما إن ضغطت على زر النور حتى فوجئ (ممدوح) بشخص يتدلى من سقف المخزن بواسطة حبل رفيع وقد التفت ساقاه بالحبل وتدلى رأسه إلى أسفل ليصبح فى مواجهته مباشرة وهو يحييه بالإسبانية قائلًا :

ـ أوليه .

وقبل أن يفيق من دهشته انشقت الأرض أمامه مباشرة عن شخص آخر لينتصب واقفًا أمامه وهو يلقى عليه بنفس التحية مما دعاه لأن يجذب مسدسه على الفور بحركة تلقائية .

لكن شخصًا ثالثًا تأرجح بحبل من خلفه لينتزع منه مسدسه بسهولة ومر يضحك مرددًا ما قاله زميله .

وما لبث أن قفز من أعلى شخصان آخران عن يمينه وعن يساره وهما يحاصرانه وقد ارتديا قناعى خفاش أسود .

استل (ممدوح) خنجره تأهبًا للمواجهة .

لكن الفتاة ضحكت قائلة :

ـ لا داعى لهذا التحفز فهؤلاء هم جنودك .

نقل (ممدوح) بصره بينها وبين خمسة عشر شخصًا أحاطوا به بينهم من يرتدون أقنعة الخفافيش وقد اقتربت منه (سوزيتا) قائلة :

ـ هؤلاء هم كتيبة الخفافيش التى أخبرتك عنها .

أعاد أحدهم لـ (ممدوح) مسدسه قائلًا :

ـ سلاحك أيها القائد .

أعاد (ممدوح) المسدس والخنجر إلى جرابيهما وهو يتأمل تلك المجموعة من الرجال مفتولى العضلات .. قائلًا :

ـ مازلت لا أفهم شيئًا .

تحدثت (سوزيتا) قائلة :

ـ لقد طلبت الوكالة التى تعمل لحسابها استئجار مجموعة من الأشخاص المحترفين فى فنون القتال ليكونوا طوع أمرك إذا ما احتاج الأمر إلى تدخلهم خاصة أنك ستواجه عدوًا لديه جيش من المسلحين .

وبما أننى أعرف هؤلاء المقاتلين منذ فترة بعيدة .. فلم أجد من هو أفضل منهم للاتفاق معه بهذا الشأن ، فأنا أثق تمامًا فى إمكانياتهم وقدراتهم البدنية والفنية .

تأملهم (ممدوح) قائلًا :

ـ لقد عرفت من خلال ألعابهم البهلوانية الآن لماذا أطلق عليهم لفظ الخفافيش .

ـ كل فرد من هؤلاء يساوى خمسة أشخاص مدربين تدريبًا عاليًا على كل أنواع القتال .. فلديك هنا خمسة عشر شخصًا يعادلون ما يساوى كتيبة عسكرية كاملة .

ـ لابد أنهم كلفوك كثيرًا ما دمت تثقين فى إمكانياتهم على هذا النحو .

ـ الأهم من إمكانياتهم البدنية والفنية هى أنهم يخلصون إخلاصًا تامًا لكل من يعملون لحسابه طوال فترة قيادته لهم فهم موضع ثقة كاملة ويمكن الاعتماد عليهم فى هذا الشأن ، استدار (ممدوح) حول أحدهم .. ثم هم

بالانقضاض عليه فجأة لكنه تفاداه سريعًا .. مسددًا له ضربة قوية بعصاه وهم بتسديد ضربة ثانية إلى (ممدوح) لكنه حمله فوق كتفيه ليطيح به أرضًا .

واستعد (ممدوح) للانقضاض عليه .. ليجده قد وضع حد سكينه أسفل عنقه مباشرة قبل أن ينهض واقفًا .

ابتسم (ممدوح) قائلًا :

ـ رد فعل سريع وقوى .

قالت (سوزيتا) مبتسمة :

ـ ألم أقل لك ؟ إنهم مدربون تدريبًا عاليًا .

ـ هذا شيء واضح .

وتقدم أحدهم من (ممدوح) لينزع القناع عن وجهه مؤديًا له التحية العسكرية وهو يقول :

ـ (بابلو خوسيه) قائد الكتيبة فى خدمتك وفى انتظار أوامرك سيدى (ممدوح) .

ابتسم (ممدوح) قائلًا :

ـ أنا لست قائدًا عسكريًا فلا داعى للتحية العسكرية ودعونا نتعارف أولًا .

***

الفصل الثالث

صعد (شامل) من حوض السباحة لتستقبله فتاة حسناء بروب الاستحمام .

حيث قامت بمساعدته على ارتدائه فى حين جلس ذلك الرجل الطويل القامة صاحب النظارات الطبية فى مواجهة حمام السباحة مباشرة ليتناول رشفات من كوب العصير فى يده .

وما لبث أن جلس (شامل) بجواره وهو يضع سيجارًا بين شفتيه الغليظتين قامت الفتاة بإشعاله له قبل أن تنصرف .

قال (شامل) وهو يمرر أصابعه بين خصلات شعره الميتلة :

ـ هات ما عندك يا (كارى).

قال (كارى) وهو يضع كوب العصير على المنضدة المجاورة :

ـ كل المعلومات التى قدمها لك (جارسيا) بشأن هذا الرجل مزيفة .. لا شىء يدل على أن هذا المدعو (فارس) رجل أعمال كما يدعى .

ـ وماذا عن تلك الأوراق التى تتعلق بمكتبه فى بيروت ؟...

ـ كلها مزورة بإتقان لكن ليس إلى الدرجة التى يصعب على رجالنا معرفتها .

التفت إليه وملامح الغضب تكسو وجهه قائلًا :

ـ إذن كان يخدعنا .

قال (كارى) بهدوء وهو يحرك كوب العصير بين يديه :

ـ قلت لك من البداية إننى لم أسترح لهذا الرجل .

ـ أنا أيضًا بدأت أرتاب بشأنه بعـد الطريقة التى اتبعها للهـرب من ملاحقة رجالنا له .

فقد تعامل مع الأمر بطريقة احترافية .

غمغم (كارى) قائلًا :

ـ وكذلك تلك الفتاة التى قادت السيارة التى استقلها .

لم نكن بحاجة لتلك الصفقة على أية حال لنجعل شخصًا مثل هذا يدس أنفه فى شئوننا .

نفث (شامل) دخان سيجاره وهو يستعيد هدوءه قائلا :

ـ لكننا بحاجة لأن نعرف ما الذى يعرفونه عن نشاطنا السرى .. ولحساب من يعمل أشخاص مثل ذلك المتطفل .

ارتشف (كارى) ما تبقى من العصير ثم وضع الكوب على المنضدة قائلا :

ـ ستعرف حتمًا سنيور (شامل) .

وما لبث أن نهض مغادرًا المكان تاركًا (شامل) يدخن سيجاره وقد بدت فى عينيه نظرة ذئب يترقب صيد الفريسة .

جلس (جرسيا) وسط ثلاثة من الفتيات أخذن يتمايلن على صوت الموسيقى الصاخبة فى الملهى الليلى المزدحم عندما اخترق عملاق ضخم يناهز المترين طولا صفوف الراقصين ليقترب من مائدته قائلًا بصوت أجش :

ـ انهض لتأتى معى .

تطلع إليه (جرسيا) بتوجس قائلًا :

ـ إلى أين ؟

ـ سنيور (كارى) يريد أن يراك .

ـ ألا يمكن للأمر أن ينتظر .. فأنا .....

قاطعه الرجل الضخم وقد ازداد صوته خشونة قائلًا :

ـ أتريد أن تأتى إليه طوعًا أم تحب أن أحملك إليه قسرًا ؟

اضطرب الرجل قائلا :

ـ لا .. لا داعى لذلك سآتى معك .

ثم التفت إلى الفتيات اللاتى يرافقنه قائلًا بصوت متلعثم :

ـ معذرة أيتها الجميلات لن أغيب عنكن طويلًا :

وقاده العملاق إلى إحدى الغرف ليدفع به إلى الداخل قبل أن يغلق الباب خلفه .

حيث رأى (كارى) جالسًا خلف مكتب كبير عليه بعض الأوراق .

فوقف أمامه فى تواضع قائلًا :

ـ تحت أمرك سنيور (كارى) .

رفع (كارى) بصره عن الأوراق الموضوعة أمامه .. ثم تناول قطعة القماش الصغير ليمسح بها عدسات نظارته قبل أن يغادر مكتبه ليدور حوله قائلًا :

ـ من هو ذلك الرجل الذى جئت به لنا مؤخرًا لمقابلة سنيور (شامل) ؟

قال مرتبكًا :

ـ تقصد سنيور (فارس) ؟ كما أخبرتك رجل أعمال لبنانى قدم إلى المكسيك .....

وقبل أن يكمل جملته حمله الرجل الضخم بين يديه كطفل صغير ليطرحه على ظهره فوق المكتب بعنف .

ارتسمت ملامح الذعر على وجه (جرسيا) وتصبب وجهه عرقًا.. خاصة حينما رأى ذلك السكين الذى وضعه العملاق فوق عنقه ويكاد يخترقه .

صاح الرجل قائلًا بصوت مرتعش :

ـ سنيور (كارى) .. أنا لم أفعل شيئًا أستحق عليه ذلك .

قال (كارى) بتأنٍّ :

ـ أنا لا أحب أن أسأل السؤال مرتين .. من هو هذا الرجل الذى قدمته لنا بصفته رجل أعمال ؟

ـ لا أعرف عنه سوى ما قلته لك .. لقد كنت مجرد وسيط .

أشار (كارى) إلى الرجل الضخم قائلًا :

ـ اقطع عنقه .

لكنه صرخ متوسلًا وهو يقول :

ـ أقسم لك أننى لا أعرف عنه شيئًا .. لقد قدمته لى تلك الفتاة (سوزيتا) ودفعت لى مبلغًا كبيرًا مقابل أن أقدمه لسنيور (شامل) باعتباره رجل أعمال لبنانيًا يريد عقد صفقة معه .

فهى تعرف أننى أحد أتباعه لذا أرادت أن أكون وسيطًا بينى وبينكما .. هذا كل ما فى الأمر وقد أغرانى المبلغ الذى لوحت لى به ولا أعرف أى شىء آخر سوى ذلك .

***

اتصل (ممدوح) بـ (سوزيتا) هاتفيًا ليخبرها قائلًا :

ـ لقد التقيت بوكيل أعمال (شامل) اليوم .. وتم الاتفاق على كل شىء .

ـ هل وافق على ذهابك إلى المزرعة ورؤية المصنع ؟

ـ أجل لم تكن هناك صعوبات فى الاتفاق بيننا وبدا أن لديه تفويضًا بتيسير كل الأمور .

صمتت برهة قبل أن تقول :

ـ هذا أمر مقلق .

ـ وقد أثار ريبتى أيضًا .. لكن فى النهاية هذا هو ما كنا نسعى إليه.

ـ وماذا تنوى أن تفعل ؟

ـ سأذهب إلى هناك بالطبع .

ـ عليك أن تكون حذرًا .

ـ سأكون على اتصال بك وبـ (بابلو) إذا ما احتجت لخدماتكم .

ولم تشعر (سوزيتا) فى تلك اللحظة بالباب وهو يفتح وذلك الشخص الضخم الذى تسلل خلفها لينقض عليها بيديه الغليظتين .

وما لبث أن سمع (ممدوح) صوت صرخة قوية تنبعث فى الهاتف فأسرع يركض بكل قوة وهو يهتف قائلًا :

ـ (سوزيتا) .. (سوزيتا) .. ما الذى حدث ؟

لكن ما إن وصل إلى غرفتها حتى رآها ملقاة على الأرض والدماء تنزف من صدرها .. فجثا على ركبتيه بجوارها محاولًا البحث عن وسيلة لإنقاذها لكنها قالت له بصوت واهن :

ـ لا فائدة .. يبدو أننى كنت واثقة من نفسى بأكثر مما يجب .. إنهم يعرفون الهدف من زيارتك الآن واللعب معك سيكون على المكشوف .. سامحنى لأننى لم أستطع ....

ولم تكمل عبارتها .. إذ سرعان ما أسلمت الروح بين يديه .

صعد (ممدوح) إلى سطح الفندق المطل على الشاطئ ليرى طائرة مروحية رابضة على السطح وقد أخذت مروحتها فى الدوران ببطء قبل أن تتوقف .

بينما اندفع (كارى) لاستقباله والترحيب به قائلًا :

ـ أهلًا بك سنيور (فارس) لقد تأخرت علينا قليلًا .

قال (ممدوح) وهو ينقل بصره بين الطائرة والرجل :

www.riwaya.ga

ـ عشر دقائق فقط لا أكثر .

ابتسم الرجل ابتسامة خبيثة قائلًا :

ـ عشر دقائق تعنى الكثير بالنسبة لسنيور (شامل) فهو دقيق للغاية بالنسبة للمواعيد ولا يحب أن يتأخر عليه أحد أيًا كان .

ـ إننى أعتذر على أية حال .

أشار إلى الطائرة قائلًا :

ـ قدم له اعتذارك بنفسك فهو ينتظرك فى الطائرة .

ـ هل ينوى أن أقلع معه فى تلك الطائرة ؟

ـ ألا تريد أن ترى المصنع الذى تنوى استيراد إنتاجه ؟

عاد (ممدوح) ينظر إلى الطائرة ثم إلى الرجل بتوجس .

وقد قال له الأخير :

ـ هيا إن الطائرة على وشك أن تقلع .

ـ ألن تأتى معى ؟

ـ كلا .. لدىَّ بعض الأعمال هنا يتعين علىَّ أداؤها .

توجه (ممدوح) إلى الطائرة ليجد (شامل) جالسًا فى المقعد الخلفى وهو يحدجه بنظراته .

حيث دعاه إلى الجلوس بجوار قائد الطائرة قائلًا :

ـ تأخرت علىَّ سنيور (فارس) ؟

التفت إليه (ممدوح) قائلًا :

ـ أعتذر عن التأخير .

حلقت الطائرة فى السماء مبتعدة عن الفندق وقد انقضت فترة من الصمت بينهما قطعها (شامل) قائلًا :

ـ من أنت سنيور (فارس) ؟

ابتسم (ممدوح) قائلًا :

ـ لكنى قدمت نفسى من قبل .. ومع ذلك .....

قاطعه قائلًا :

ـ ومع ذلك فقد كذبت علىَّ ولم تخبرنى بحقيقتك .

بوغت (ممدوح) بما قاله لكنه استعاد رباطة جأشه قائلًا :

ـ إذا كانت حقيقة شخصيتى غير مرضية لك فهذا شأنك .

ـ أنت لست رجل أعمال كما تدعى .. بل عميل مأجور أرسلوه ليتجسس علىَّ وعلى أعمالى هنا .

قال (ممدوح) متخابثًا :

ـ لماذا ؟ هل يوجد لديك نشاط سرى تخفيه مثلًا غير كونك رجل أعمال كبير متعدد الأنشطة المشروعة قانونيًا ؟

صوب (شامل) مسدسه إلى رأس (ممدوح) قائلًا :

ـ لا تحاول أن تتحاذق معى أيها الشاب وأخبرنى لحساب من تعمل .

ـ لحسابى الخاص بالطبع .

ـ أيًا كان من أرسلوك فهم أغبياء لأنهم لا يعرفون مع من يتعاملون .. كان يتعين عليهم أن يعرفوا أنك لن تعود إليهم إلا جثة فى صندوق .

قال (ممدوح) بهدوء :

ـ يؤسفنى ذلك فلم أكن أظن أن هذا هو تقديرك لى سنيور (شامل) .

ـ قل لى هل تحب أن تقتل برصاصة فى رأسك أم تفضل القفز من الطائرة ؟

ابتسم (ممدوح) قائلًا :

ـ يا له من اختيار .

ـ أنا عادة لا أمنح أحدًا ممن أريد التخلص منهم حق الاختيار .

ـ كما فعلت بالفتاة (سوزيتا) .

ـ هى أيضًا رفضت التعاون معنا فاستحقت الموت .. وكان هذا هو اختيارها .

لا تضيع وقتى أكثر من ذلك إما أن تقفز أو تستقر رصاصة فى رأسك .

فتح (ممدوح) الباب المجاور له قائلًا :

ـ لا داعى لأن أكلفك ثمن الرصاصة .. أظن القفز فى الهواء الطلق أفضل .. خاصة أنه إحدى هواياتى المفضلة .

وقفز من الطائرة تتبعه نظرات (شامل) .

حيث عاد لينظر أمامه قائلًا للطيار :

ـ عد بى إلى الفندق .

حلق (ممدوح) فى الهواء من ارتفاع شاهق قبل أن يفتح سوستة فى بطانة سترته الداخلية ليندفع منها ما يشبه البالون الصغير .. والذى أخذ يكبر تدريجيًا كلما اصطدم بالهواء ليتحول إلى بالونة كبيرة للغاية حلقت به عاليًا .

وقد ظل البالون يتقاذفه فى الهواء حتى اقترب به فى اتجاه البحر .

فحرك (ممدوح) زرًا فى أسفل الخاتم الذى يضعه فى إصبعه ليظهر سن مدبب فى الجزء العلوى منه يشبه حد السيف .

وانتظر حتى حلق به البالون فوق سطح الماء ليغرز السن المدبب فى البالون ويثقبه وهو يغمغم قائلًا :

ـ والآن كفانا سباحة فى الهواء ولنسبح قليلًا فى الماء .

وما لبث أن فرغ الهواء من البالون ليتحول تدريجيًا إلى قطعة كبيرة من المطاط سرعان ما تخلص منها قبل أن يغطس فى الماء .

حيث أخذ يسبح محاولًا الوصول إلى الشاطئ .

وبعد جهد كبير تمكن من تحقيق غايته .. ليفاجأ رواد المصطافين بذلك الشاب وهو يصعد إلى الشاطئ بعد ساعة كاملة من السباحة بكامل ثيابه التى كانت تقطر ماءً ليلقى بنفسه فوق الرمال محاولًا التقاط أنفاسه من شدة ما بذله من جهد وتعب .

***

الفصل الرابع

كان الحفل الذى أقامه حاكم المدينة صاخبًا ويذخر بعلية القوم الذين حضروا إلى المكان مرتدين أفخر الثياب وأغلى أنواع المجوهرات وتفوح منهم أجمل روائح البرفانات وذلك بمناسبة التبرع الكبير الذى قدمه (شامل) وبعض أثرياء المدينة لجمعية رعاية الأطفال المشردين والمستشفى المخصص لعلاجهم .

وقد استعان (ممدوح) بأحدهم ليحصل على دعوة باسم (خوليو بانشيز) .

حيث حضر وهو بكامل أناقته ليندس بين المدعوين .. وقد لمح (كارى) وهو يراقص إحدى السيدات فتقدم منه ليأتى من خلفه قائلًا :

- هل تسمح لى بمراقصة فتاتك الجميلة ؟

التفت إليه محدقًا فى وجهه بدهشة قابلها (ممدوح) بابتسامة ساخرة .. وقد غمغم قائلًا :

- أ ... أمازلت ....

قال (ممدوح) وهو يتناول الفتاة بين ذراعيه :

- مازلت حيًا .. طبعًا .. فالحياة جميلة كما ترى .

توجه (كارى) إلى الطاولة التى يجلس إليها (شامل) وبعض أصدقائه ومن بينهم حاكم المدينة .. ليهمس فى أذنه ببضع كلمات حول على أثرها نظراته إلى (ممدوح) .

والذى أومأ له برأسه دون أن تفارقه ابتسامته الساخرة .

بينما حدجه (شامل) بنظرة عبرت عن دهشته .. وهو يغمغم قائلًا :

ـ كيف ؟

التفت إليه الحاكم قائلًا :

ـ هل هناك شىء يا سنيور (شامل) ؟

قال له متلعثمًا :

ـ كلا .. لا شىء يا سيدى المحافظ .

وما لبث أن ترك (ممدوح) الفتاة التى يراقصها ليقترب من الطاولة وهو يحنى رأسه للمحافظ قائلًا :

ـ احترامى وتحياتى يا سيادة المحافظ .

أومأ له المحافظ برأسه مبتسمًا .

بينما تحول (ممدوح) إلى (شامل) قائلًا :

ـ معذرة يا سنيور (شامل) لكنى أردت أن ألقى إليك بتحياتى قبل أن أنصرف .. وأيضًا لأذكرك بأنه بيننا اتفاق موثّق يتعين علينا تنفيذه .

قال (شامل) وهو يضع السيجار فى فمه محاولًا الحفاظ على رباطة جأشه :

ـ آه .. طبعًا .. سنلتقى غدًا لنتحدث فى هذا الأمر .

ـ يسعدنى ذلك .

وعاد (ممدوح) إلى الحسناء التى راقصها قائلًا :

www.riwaya.ga

ـ مضطر للانصراف الآن لكننا سنلتقى غدًا كما تواعدنا .. أليس كذلك ؟

نظرت إليه بإعجاب وهى تبتسم قائلة :

ـ إننى لا أخلف مواعيدى أبدًا سنيور ....

ـ (فارس) تذكرى الاسم .. (فارس) .

نظر (شامل) إلى الرجل الضخم الذى اصطحبه معه نظرة تحرك على أثرها خلف (ممدوح) بعد مغادرته المكان .

وما إن عاد (ممدوح) إلى حجرته حتى سمع طرقًا على الباب فألقى بسترته على المقعد وتوجه ليفتحه .

ليجد يدًا قوية تدفعه إلى الداخل .

وقبل أن يتبين الأمر حملته ذراعى العملاق عاليًا ليلقى به على ظهره فوق المنضدة الزجاجية والتى تهشمت تحت ثقل جسده .

حاول النهوض لكن الذراعين القويتين انتزعته من الأرض لترفعه ثانيًا وتقذف به نحو الدولاب محطمًا إحدى ضلفتيه .

ثم أطبق بأصابعه الغليظة على عنقه وهو يرفعه فوق الجدار ..

وقد أحس (ممدوح) بأن طوقًا حديديًا يطبق على عنقه ويمنعه من التنفس .

حاول التخلص من القبضة الحديدية التى تكاد تزهق أنفاسه بلا جدوى .

وما لبث أن تذكر ذلك الخاتم فى إصبعه فقام بالضغط على زره السفلى ليبرز الحد المدبب فى الجزء العلوى منه ، ليقوم بغرزه فى ذراع الرجل بقوة .

فصرخ العملاق متألمًا واضطر إلى إبعاد يده عن عنق (ممدوح) ليضعها على مكان الجرح فى ساعده .

وقف (ممدوح) يلهث لبرهة محاولًا التقاط أنفاسه قبل أن يسدد لكمة قوية لغريمه .

لكنها لم تحدث أى أثر فى ذلك العملاق ولم تزحزحه من مكانه خطوة واحدة .. بل زادته غضبًا وتوحشًا .

فانقض عليه مجددًا ليدفع به بقوة إلى الجدار .. وهو يحاصره فى إحدى أركان الحجرة .

وقد سارع (ممدوح) بإخراج مسدسه من جيبه لكن لم يمنحه فرصة لاستخدامه .

إذ أطبق على رسغه ليضرب بيده فى الجدار ليجبره على إسقاطه .

ثم انهال عليه بلكمة ساحقة طرحته أرضًا .

وهم بالانقضاض عليه من جديد .. لكن (ممدوح) قام بتسديد ركلة قوية إلى كعب غريمه ليخل بتوازنه ويسقطه بدوره على مقربة منه .

مما زاد من غضب الوحش الآدمى .. فتناول المسدس الذى سقط من (ممدوح) ليتحول إليه وهو يرمقه بنظرة قاسية .. وكان الأخير قد أسقط

الأباجورة الموضوعة فوق الكومود بجواره أثناء سقوطه على الأرض من أثر اللكمة .

وقبل أن يضغط غريمه على زناد المسدس الذى صوبه إليه انتزع (ممدوح) الأسلاك الكهربائية من الأباجورة بقوة ليجعلها تلامس ساق خصمه .

وسرعان ما انتفض جسد الرجل بقوة من أثر سريان التيار الكهربائى فى جسده قبل أن يسقط المسدس من يده ويلقى مصرعه .

تنفس (ممدوح) الصعداء وهو يساعد نفسه على النهوض ليجلس على حافة الفراش بضع لحظات محاولًا التفكير فيما يتعين عليه عمله .

وكان قد استأجر لنفسه غرفتين فى الفندق .. واحدة بتلك التى ينزل فيها باسم (فارس عزام) .. والثانية تجاوره باسم مستعار آخر هو (لوبيز جارنيشا) للطوارئ ؛ حيث وجد أنه قد آن الأوان لاستخدامها .

فقام بفتح باب غرفته ليلقى نظرة على الخارج .. حيث وجد الممر الذى يربط بين الغرفة والغرفة المجاورة خاليًا تمامًا .

فقام بفتح باب الحجرة الثانية وقام بسحب غريمه على الأرض ليدخله فيها .

وكذلك قام باستبدال المنضدة المهشمة والأباجورة وضلفة الدولاب المكسورة بتلك الموجودة فى الحجرة الثانية .

ثم أغلق باب الحجرة عائدًا إلى حجرته ليسوى ثيابه ويعيد ترتيب المكان قائلًا :

ـ والآن عليهم أن يبحثوا عن السيد (لوبيز) الذى لا وجود له على الإطلاق لمعرفة علاقته بتلك المعركة العنيفة .

***

لوح (ممدوح) بيده للفتاة التى راقصها بالأمس .. لتلوح له بدورها وهى تقترب من سيارته حيث غادرها ليستقبلها بابتسامة مرحبة قائلًا :

ـ يا لك من فتنة متحركة .

ابتسمت بدورها قائلة :

ـ أنت تعرف كيف ترضى غرور امرأة سنيور (فارس) بكلماتك المنمقة .

قال وهو يفتح لها باب السيارة :

ـ بل أعرف كيف أقدر جمال الحسناوات مثلك سنيوريتا (أوليفيا) .

وجلس بجوارها قائلًا :

ـ هل تأخرت عليكِ ؟

ـ بالعكس لقد جئت فى موعدك تمامًا .

وأردفت قائلة :

ـ إلى أين ستأخذنى ؟

قال وهو يدير المحرك :

ـ إلى أى مكان شاعرى تريدينه .

ضحكت قائلة :

ـ لكن كن حذرًا فمصاحبتى تنطوى على قدر من الخطورة .

قال لها مبتسمًا :

ـ وأنا مستعد للمخاطرة طالما رفيقتى بكل هذا القدر من الجمال .

ضحكت ثانية قائلة :

ـ ألم أقل لك إنك تعرف كيف ترضى غرور المرأة ؟

وقاد سيارته إلى مكان هادئ يطل على البحر مباشرة .

حيث جلسا إلى إحدى الموائد ذات الإضاءة المنخفضة وظل يتأملها لبرهة قبل أن يقول :

ـ إن تلك العينين الزرقاوين تشكلان خطرًا حقيقيًا على أى رجل .

ابتسمت قائلة :

ـ هل جئت بى إلى هنا لتغازلنى ؟

ـ أنا أعبر عن إعجابى فقط .

ـ أنت أيضًا تتميز بوسامة حقيقية سنيور (فارس) .

قال لها مازحًا :

ـ هل أعتبر هذا غزلًا ؟

ضحكت قائلة :

ـ بل أعبر عن إعجابى فقط .

تناول رشفة من العصير الموضوع أمامه .. قبل أن يقول :

ـ والآن دعينا نتحدث حديثًا جديًا .

ـ وأتمنى أن يكون صريحًا .. ما الذى تريده منى ؟

ـ أنت صديقة (كارى) أليس كذلك ؟

ـ وهل يهمك كثيرًا هذا الأمر ؟

ـ أجل هو يهمنى بالفعل .

ـ لست صديقته الوحيدة .. بل قل صديقته المفضلة .

حدجها بنظرة ثاقبة قائلا :

ـ لا أظن أنك ترينه كذلك بالنسبة لك .

ـ ولِمَ لا ؟

ابتسم قائلًا :

ـ من الطريقة التى كنتِ تراقصينه بها بالأمس .

ـ يبدو أنك ثاقب النظر يا عزيزى .

ارتكز بمرفقيه على المائدة وهو ما زال يحاصرها بنظراته قائلا :

ـ يبدو أننا متفاهمون يا عزيزتى .

ـ ما الذى تريده من (كارى) ؟

ـ لا بد أن أعرف أولًا إلى أى حد أنت متمسكة بإخلاصك له .

صمتت برهة قبل أن تقول :

ـ إنه ينفق علىَّ ببذخ .

وضع يده فى جيبه ليخرج شيكًا بمبلغ كبير أظهره لها قائلًا :

ـ وأنا أيضًا أستطيع أن أكون كريمًا معك .

ارتكزت بدورها على مرفقيها فوق حافة المائدة وهى تتأمل الشيك قبل أن تهمس له قائلة :

ـ خيانة (كارى) قد تكلف المرء حياته .

همس لها وهو يقرب وجهه منها أكثر قائلًا :

ـ أستطيع أيضًا أن أوفر لكِ الحماية التى تحتاجينها .

تراجعت فى مقعدها وهى تفكر للحظات قبل أن تقول :

ـ ما الذى تريده على وجه التحديد ؟

ـ زيارة لمنزله أثناء غيابه .. أنتِ صديقته المفضلة وبالتالى تستطيعين أن تمكنينى من تلك الزيارة .

ـ لديه حراس أشداد يتولون حراسة المنزل .

ـ لا أظن أنه سيكون لديك مشكلة بهذا الشأن .

عادت لتنظر إلى الشيك وهى تبدو مترددة قبل أن تقول :

ـ هذا المبلغ لا يكفى .

ـ سيكون لك مثله بعد أن أنتهى من الزيارة .

ـ سأفكر فى الأمر .

ـ بل عليكِ أن تحسميه الآن .

أخذت الشيك منه قائلة :

ـ حسنًا .. سيسافر (كارى) إلى المزرعة فى مانشانيلو بعد يومين .. وأظن أننى أستطيع تدبير الأمر لتقوم بتلك الزيارة المنزلية .

ـ إنها مزرعة (شامل) .. أليس كذلك ؟

ـ أجل .. يبدو أنك تعرف الكثير عنهما .

ابتسم قائلا :

ـ يمكنكِ أن تقولى إن بيننا ود متبادل .

***

ضغطت (أوليفيا) على بوق السيارة عدة مرات .. فأسرع أحدهم بفتح البوابة الحديدية للفيلا الأنيقة والبندقية الآلية معلقة على كتفه .

حيث ألقى نظرة على السيارة من الداخل قائلًا :

ـ سنيوريتا (أوليفيا) .. سنيور (كارى) غير موجود .

قالت له باستعلاء :

ـ أعرف ذلك .. سأنتظر لحين عودته .

ـ لكنه مسافر .

ـ وما المانع ؟ سأنتظر لحين عودته من السفر .. هل هذه أول مرة .

ـ آسف .. تفضلى .

وتقدمت بالسيارة إلى الداخل .. وقد لاقت فى طريقها شخصان آخران مدججان بالسلاح ظلا يتابعانها بنظراتهم وهى فى طريقها للمرأب المجاور لمبنى الفيلا الداخلى .

وما لبثت أن غادرت السيارة وهى تتلفت حولها قبل أن تفتح الصندوق الخلفى .. حيث كان (ممدوح) كامنًا بالداخل .

وأشارت إلى باب داخلى فى نهاية المرأب قائلة :

ـ يمكنك أن تدخل إلى الجناح الخلفى للفيلًا عن طريق هذا الباب وأنا سأسبقك إلى الداخل .

وسرعان ما تسلل إلى الداخل .

حيث أشارت (أوليفيا) إلى إحدى الحجرات قائلة :

ـ هنا توجد حجرة المكتب الخاصة بـ (كارى) وجهاز الكمبيوتر وكل المعلومات التى تحتاجها بشأنه .

فتح (ممدوح) باب الحجرة ليفاجأ بـ (كارى) جالسًا على حافة المكتب وابتسامة ساخرة على شفتيه وهو ينظر إليه قائلًا :

ـ مرحبًا صديقنا العزيز .. كنت فى انتظارك .

تقدمت الفتاة لتقف بجواره وقد لفت ذراعها حول خصر (كارى) وقد ابتسمت بدورها قائلة لـ (ممدوح) بسخرية :

ـ هل ظننت حقًا أننى سأخونه من أجلك .. ومن أجل ذلك الشيك الذى قدمته لى ؟

قال (كارى) وهو يعقد ذراعيه فوق صدره :

ـ كنت أظنك أذكى من ذلك .. لكنك مع الأسف خيبت آمالى .

هم (ممدوح) بجذب سلاحه .. لكنه سمع صوت بندقية آلية يأتى من خلفه وصوت أمر يقول له :

ـ لا أنصحك بذلك .. ألقِ بسلاحك .

أطاع الأمر .. بينما تقدم (كارى) بضع خطوات منه ليقف فى مواجهته مباشرة قائلًا :

ـ والآن سأعيد عليك السؤال الذى سأله لك سنيور (شامل) من قبل .. من أنت ؟.. وما الذى تعرفه عنَّا ؟

لاذ (ممدوح) بالصمت وهو يحدجه بنظرة ثابتة .

مما جعله يستشيط غضبًا وهو يجذبه من ياقة سترته بعنف قائلًا :

ـ أنا لا أحب ألا يجيب أحد على أسئلتى .

وانتهز (ممدوح) فرصة اقترابه منه ليسدد ركلة قوية فى ساقه جعلته ينحنى متألمًا .

وقبل أن يصدر أى رد فعل من الشخص الذى يصوب إليه سلاحه كان قد جذب سكينًا من جراب سرى حول ساقه بسرعة البرق ليضعه فوق عنق (كارى) بعد أن طوقه بذراعه من الخلف .

وقد تراجع خطوتين إلى الوراء ليتمكن من رؤية الشخص المسلح والفتاة .. وهو يحذر قائلا :

ـ ألق سلاحك .. وضع يدك فوق رأسك .

وتحول بنظراته إلى الفتاة وهو ما زال يطوق (كارى) بذراعه وحد السكين فوق عنقه مستطردًا :

ـ وأنت أيضًا .. حركة واحدة خاطئة وينغرس السكين فى عنقه .

أطاع الرجل والمرأة أوامره وهما ينظران إليه شذرًا :

بينما أخذ (ممدوح) يتراجع إلى الوراء وهو يجر معه غريمه محاولاً الوصول إلى الباب .

لكن قبل أن يفعل تلقى ضربة قوية على رأسه من الخلف جعلته يهوى أرضًا فاقدًا الوعى .

***

الفصل الخامس

استعاد (ممدوح) وعيه ليجد نفسه ممددًا على ظهره وقد قيد يداه ومعصماه إلى سير معدنى مخصص لعصر عيدان القصب قبل تحويله من مادة سكرية سائلة إلى سكر خام بعد المرور بمراحل متعددة .

وفى مواجهته وقف (شامل) وبجواره (كارى) .

وقد تأمله (شامل) بنظرة تشفى عكس (كارى) الذى كان يرمقه بنظرات غاضبة .

حيث حدثه (شامل) قائلًا :

ـ مع الأسف كنت قد بدأت أعجب بك أيها الرجل .. خاصة بعد أن أفلت من الموت بأعجوبة فى المرة السابقة لكنك لم تكن من الذكاء بحيث تدرك أن المرء لا ينجو من موت محقَّق مرتين كان يتعين عليك أن تبتعد حينما أتيحت لك الفرصة لذلك .

هذا مصنع لعصر قصب السكر وهو أحد ثلاثة مصانع أمتلكها هنا .

وهذه الآلة التى ترقد عليها مخصصة لعصر نصف طن من القصب كل ثلاث ساعات قبل أن يتحول إلى آلات أخرى تعمل على مراحل متعددة تعمل على تحويله إلى سكر مبلور ، لكنى أعطيت العمال اليوم إجازة لأنى قررت استبدال عصير القصب الليلة بعصير آدمى .. أظن أنك تفهمنى يا عزيزى أيًا ما كنت .

قال (ممدوح) محاولًا الاحتفاظ برباطة جأشه :

www.riwaya.ga

ـ وماذا عن معامل الهيروين التى تختفى وراء نشاط مصانعك ؟

وضع (شامل) ذراعيه خلف ظهره لينظر إلى (ممدوح) مبتسمًا وهو يقول :

ـ كنت أعرف أن هذا هو هدفك الحقيقى سنيور (ممدوح) .

ـ إذن .. فأنت تعرفنى .

اقترب منه ليضع إحدى قدميه على الجزء السفلى من الآلة المعدنية مرتكزًا بساعده على ساقه وهو يرمقه بنظرة ثاقبة قائلًا :

ـ مع الأسف تعرفت عليك مؤخرًا .. وتبين لى أنك مصرى ولست لبنانيًا وأنك تعمل لحساب جهاز أمنى مصرى يعرف بالمكتب (١٩) .. لكنى كنت أشك فيك منذ البداية .. وما عرفته عنك من معلومات لن يشكل أى فارق فى النهاية .

فسوف تلقى حتفك على أى حال .

وأشار إلى (كارى) قائلًا :

ـ شغل الآلة .

قال (كارى) وهو يضغط على زرين فى إحدى جانبى الآلة المعدنية :

ـ يسعدنى ذلك .

وتحرك السير المقيد إليه (ممدوح) ببطء فى اتجاه الآلات العاصرة وقد أدرك أنه مقبل على الهلاك حتمًا .

فأراد أن يكسب الوقت قائلًا :

ـ ألا يهمك أن تعرف ما لدينا من معلومات عنك ؟

قال (شامل) وهو يدير له ظهره بلا مبالاة :

ـ لم يعد ذلك يهمنى كثيرًا .

ـ حتى لو كان لدى السفارة المصرية أشخاص يهتمون بأمر مرورى عليهم خلال ثمانية وأربعين ساعة وإلا قام السفير بإطلاع أعلى المستويات هنا على تلك المعلومات المهمة والتى يمكن أن تقضى على كل مشاريعك وتفضى بك إلى السجن .

كان السير المعدنى يتحرك بطيئًا .. لكنه يزداد قربًا برأس (ممدوح) من المعصرة الضاغطة .. وقد تصبب وجهه عرقًا وهو يلقى نظرة ذعر خلفه .

بينما ابتسم (شامل) بسخرية قائلًا :

ـ لقد رأيت بنفسك أن محافظ المدينة والحاكم من بين أصدقائى هنا .

ـ هناك من هو أعلى سلطة من الحاكم والمحافظ .. وإذا كان لديك عدد من الأصدقاء أصحاب السلطة والنفوذ هنا .. فلديك أيضًا أعداء من أصحاب السلطة والنفوذ يتمنون لو نالوا منك .

ـ لكنى لا أصدقك سنيور (ممدوح) .

ـ وماذا لو قلت لك إن سنيور (خوفيير) أحد أكبر رجال الأعمال المنافسين لك هنا والصديق الشخصى لوزير الداخلية ورئيس الوزراء مستعد لأن يدفع الملايين لو حصل على تلك المعلومات التى تدينك من مندوب السفارة

المصرية هنا .. ليقوم بتسليمها قبل اللقاء المباشر بين السفير المصرى ووزير الخارجية المكسيكى .

وكان (ممدوح) قد حصل على تلك المعلومة عن (خوفيير) عن طريق (سوزيتا) قبل أن تلقى حتفها .

وقف (شامل) ليفكر قليلًا فى حين كانت رأس (ممدوح) على بعد سنتيمترات قليلة من المعصرة وقد أخذ قلبه يخفق بشدة .

حينما أشار (شامل) لـ (كارى) بوقف تشغيل السير المعدنى ليطيعه على مضض .

تحرر (ممدوح) من قيوده ليصطحبه (شامل) فى نزهة داخل المزرعة وحوله حراسه .. وقد تحول إليه قائلًا :

- حسنًا سنيور (ممدوح) لقد عدت للحياة مرة ثانية بعد أن أوشكت على موت مؤكّد .. لكن هذه المرة بإشارة منى وهذا يعنى أننى أرى أنه بإمكاننا التفاهم سويًا .

لديك معلومات مهمة بشأن نشاطى السرى هنا ولدىّ أيضًا معرفة بما تسعى وراءه من خلال تواجدك فى هذا المكان وذلك قد أوجد مشكلة حقيقية بالنسبة لكلينا .

هز (ممدوح) رأسه قائلًا :

- أظن ذلك .

ـ إذن لديك أحد اختيارين : إما أن تتعاون معى وتكون أحد رجالى وتنسى وظيفتك السابقة .. وإما فإننى لن أجد مناصًا من قتلك مهما كانت المخاطر التى شرحتها الآن .. وفى كلا الحالتين لن تغادر هذا المكان إلا بأوامر شخصية منى .. إما على قدميك أو جثة فى صندوق .

قال (ممدوح) وابتسامة ساخرة تتراقص على شفتيه :

ـ تريدنى أن أكون أحد أعوانك ؟

ـ وأنا أدفع بسخاء لكل من يتعاون معى بإخلاص .

ـ دعنى أفكر قليلًا .

ـ لا وقت للتفكير سنيور (ممدوح) .. إما أن توافق أو نذهب للاختيار الثانى .. وهذه المرة لن تجد أية وسيلة للنجاة بعد أن أصبحت فى ملعبى .

صمت برهة قبل أن يهز رأسه موافقًا وهو يقول :

ـ أظن أن الاختيار الأول يبدو أفضل .

ابتسم (شامل) قائلًا :

ـ اختيار ذكى .

وقدم له هاتف محمول .. بعد أن فتح سماعة الصوت فيه وهو يردف قائلًا :

ـ والآن عليك أن تتصل بصديقك فى السفارة المصرية لتقول له إن كل المعلومات التى بين يديه عن تجارتى فى المخدرات تبين أنها غير حقيقية وغير ذات قيمة وأنه لا يوجد لديك أى دليل على أن لى صلة بهذا الأمر .. وأنك تقضى إجازة قصيرة فى إحدى الدول المجاورة ستعود بعدها إلى مصر .

لقد فتحت الصوت لأنى أريد أن أتأكد بالطبع أنك ستنفذ ما طلبته .

تناول (ممدوح) الهاتف مترددًا ثم لبث أن اتصل بزميله ليحدثه بما طلبه منه (شامل) .

وقد انتظر الأخير حتى انتهى .. ثم تناول الهاتف ليلقى به فى الهواء عاليًا .. وقبل أن يستقر على الأرض كان قد صوب إليه رصاصة من مسدسه ليهوى أجزاء متناثرة ومحترقة .

حيث التفت إليه قائلًا :

- حسنًا .. لقد تبين لى صدق كلامك وأنك فتى مطيع .. وبذلك استحققت أن تكون واحدًا من رجالى .

- وما هو المطلوب منى بعد ذلك ؟

- ستعرف كل شىء فى حينه يا عزيزى .

- ألا أستحق بعد أن أصبحت عضوًا من أعضاء فريقك أن أتعرف على معاملك السرية ومخازن المخدرات التى تختفى فى تلك المزرعة .

ابتسم (شامل) وهو يواصل السير قائلًا :

- لا تتعجل سنيور (ممدوح) .. قلت لك ستعرف كل شىء فى حينه . الآن سأصحبك معى لتتفرج على معركة شيِّقة .

ورافقه إلى مائدة صغيرة عليها سلة من الفاكهة المتنوعة وضعت فى مواجهة قفص حديدى كبير تقف فى إحدى أركانه غوريلا ضخمة .

وقد دعاه (شامل) للجلوس وهو يتناول إصبع موز من سلة الفاكهة أخذ يتناوله على مهل بينما تطلع (ممدوح) إلى تلك الغوريلا الضخمة والتى بدت

فى حالة ثائرة وهى تضرب بيدها على القضبان المعدنية مصدرة أصواتًا مخيفة وقد أخذت تروح وتغدو فى قفصها .

أشار (شامل) إلى الغوريلا قائلًا :

ـ ما رأيك فى جامبا ؟

قال (ممدوح) بهدوء :

ـ إنها تبدو غاضبة للغاية .

ـ هذا النوع من الغوريلا يتميز بشراسة غير عادية .

ـ ربما هى جائعة أقترح أن تعطيها بعض الموز لتشبع جوعها .

ضحك (شامل) قائلًا :

ـ ستحصل إلى كمية وفيرة منه إذا ما تغلبت على غريمها .

وأشار إلى دلو يمتلئ بالأسماك بجواره قائلًا :

ـ أو يحصل خصمها على مكافأته الخاصة إذا ما نجح فى التغلب عليها.

ـ لا أظن أن الغوريلات تحب الأسماك .

ـ أجل .. لكن الدببة تحبها .

وفى تلك اللحظة فتح بابًا جانبيًا فى القفص الحديدى ليدخل منه دب ضخم رمادى اللون وهو يزمجر .

وما لبث أن وقف على ساقيه فى مواجهة الغوريلا وقد برزت مخالبه مكشرًا عن أنيابه وقد ازدادت زمجرته وحشية ، وسرعان ما نشبت المعركة بين الوحشين الرهيبين ، حيث أخذا يتصارعان وكل منهما ينشب مخالبه وأنيابه بجسد الآخر فى عراك دامٍ .

انزعج (ممدوح) لرؤية المشهد فى حين بدا (شامل) وكأنه يستمتع به كثيرًا وهو يقرض تفاحة بأسنانه .

واستمرت المعركة الدامية حوالى نصف ساعة لتنتهى بانتصار الغوريلا على الدب بعد أن لقى مصرعه .. وبعد أن أثخن جسده بالجراح وقد بدا منهكًا للغاية والدماء تنزف من ذراعيه وصدره .

أشار (شامل) إلى أحد أعوانه قائلًا :

- اطلب الطبيب ليخدرها ويبدأ فى علاجها .. وقدموا لها بعدها كميات وفيرة من الطعام فهى تستحق مكافأة مجزية .

أما الدب فألقوا بجسده للأسود .

نظر إليه (ممدوح) وهو لا يستطيع أن يخفى ازدراءه لما رآه قائلًا :

- يبدو أن لديك حديقة حيوان هنا .

ابتسم (شامل) فى تلذذ قائلًا :

- سأطلعك عليها فيما بعد أنها تحوى .. أسودًا وفهودًا ونمورًا وغوريلا.. وكلابًا شرسة مدربة .

- من الواضح أنك تهوى اقتناء الحيوانات المتوحشة بالذات .

- أجل .. إنها تستهوينى بالفعل .

- لكن ما هو الداعى لذلك النوع من المعارك الدامية ؟

- المراهنة .

رد (ممدوح) قائلًا :

- المراهنة .

ـ أجل فلقد راهنت على انتصار جامبا على الدب توما .. وها أنا قد كسبت الرهان .

ونهض واقفًا وهو ينفض يده من بقايا الطعام مواصلًا سيره مع (ممدوح) وهو يستطرد قائلًا :

ـ هل تعرف لماذا كنت واثقًا من هزيمة الدب وفوز الغوريلا ؟ لأن هذا ليس ملعبه .. المكان والمناخ والأجواء المحيطة تلعب دائمًا لصالح أصحابها .. والدب مكانه فى الأماكن الجليدية وهو ينشط دائمًا فى الأجواء الباردة .. أما الحر والمناخ الاستوائى فهو يرهقه ويضعف من قوته .. لذلك انتصرت الغوريلا.. لأنها تعرف كيف تتعايش فى ظل هذا المناخ الحار نوعًا ما .

وربما لو كان قد حدث العكس وأقيمت هذه المعركة فى مكان ثلجى مثلًا لانتصر الدب .. بل من المؤكد أنه كان سيقتل الغوريلا .

والتفت لـ (ممدوح) ليربت على كتفه قائلًا :

ـ هذا أول درس ينبغى عليك تعلمه .. إياك أن تلعب فى ملعب يتفوق عليك فيه خصمك .

فهم (ممدوح) المغزى الذى أراد (شامل) أن يُفهمه له من وراء ما قاله .

وفهم أيضًا أن الرجل يبدو ساديًا ومختلًا بعض الشىء ، كما أدرك منذ البداية أن الرجـل يدبر له شيئًا ما .. ولن يسمح له بمغادرة ذلك المكان حيًا .

***

قال (كارى) لرئيسه محتجًا :

ـ ما كان يتعين عليك أن تسمح له بالبقاء حيًا والأكثر من ذلك تسمح له بالانضمام إلينا .. هذا الشخص لا يؤمن عقباه وهو يمثل خطرًا شديدًا بالنسبة لنا .

قال (شامل) بهدوء وهو ينظر من النافذة عاقدًا يديه خلف ظهره :

ـ ومن قال لك إننى سأسمح له بالانضمام إلينا ؟

ـ هذا ما فهمته من كلامك .

استدار عائدًا إلى مكتبه وهو يقول :

ـ أنت ساذج يا (كارى) وما زلت بطىء الفهم رغم عملك معى لسنوات طويلة .

هذا الرجل وزملاؤه أصبحوا يعرفون عنّا وعن عملنا الكثيـر .. وذلك هو الخطر الذى يتهددنا .. فنحن لا نسيطر على كل المسئولين وأصحاب السلطة هنا بالفعل كما قال .

وآجلًا أم عاجلًا سيصبح هذا المكان هدفًا للكثيرين .

لذا كان يتعين علىّ أن أكسب ثقته وأظهر له رغبتى فى انضمامه إلينا ثم أستخدمه لحسابى وأوجهه الوجهة التى أريدها له هو والآخرين قبل أن أنهى عملى هنا وأصفى نشاطى فى المكان لأنقله إلى مكان آخر دون أن ينتبه أحد .. هل فهمت ؟ فأنا بحاجة لكسب الوقت حتى أنهى اتفاقاتى مع التجار الذين أتعامل معهم أولًا .

رمقه (كارى) بنظرة ثاقبة قائلًا :

ـ الآن فهمت .

ـ بعدها لن يتبقى فى هذا المكان سوى مصانع السكر ولن يكون هناك أى أثر لمعامل الهيروين التى تحوطها الشبهات .. ولن يمكنهم إثبات أى شىء ضدنا .

أما ذلك العميل المصرى فلن يتبقى منه أى أثر على الإطلاق لأنى أنوى أن أقدمه طعامًا لحيواناتى المتوحشة .

ولم يدرِ أحدهما فى هذه اللحظة أن (ممدوح) كان يستمع إلى هذا الحوار من خلال جهاز اللاسلكى الدقيق الحجم والذى ثبته مغناطيسيًا فى زر الجاكت الذى يرتديه (كارى) حينما كان يحل قيوده من فوق الآلة العاصرة .

وقد غمغم (ممدوح) وهو ممدد فوق سريره مسندًا ظهره للوسادة وواضعًا يديه خلف رأسه بينما جهاز الاستقبال الصغير فى أذنه قائلًا :

ـ كنت واثقًا من البداية أنك أذكى من أن تسمح لى بالانضمام لعصابتك بمثل هذه السهولة .. وأنك تدبر لأمر ما .

هز كتفيه وهو يردف قائلًا :

ـ على أى حال فإننى لست مستعدًّا لأن أكون طعامًا لوحوشك سنيور (شامل) .

***

الفصل السادس

تم نقل (ممدوح) إلى غرفة أخرى داخل المزرعة بدعوى أنها أكثر رحابة ورفاهية .

لكن عينيه لم تخطئا فى وجود تلك الكاميرات الخفية التى ترصد تحركاته وحديثه داخل الغرفة .

وهم بفتح باب الغرفة لكنه وجدها موصدة من الخارج .. وكذلك رأى قضبانًا معدنية على النافذة الوحيدة فى حجرته فأدرك أنه أصبح مسجونًا بأكثر ممَّا هو نزيل فى غرفة مؤثثة تأثيثًا حديثًا .

وما لبث أن أمسك بمقبض الباب وهو يتظاهر بمحاولة فتحه فأسرع أحدهم بفتح الباب من الخارج قائلًا :

- أى خدمة يا سنيور ؟ أنا هنا مكلف بخدمتك .

ابتسم (ممدوح) بسخرية وقد تأكد له أنه مراقب قائلًا :

- لديكم هنا خدمة فورية تستحق الإعجاب .. فقبل أن أفتح الباب لأنادى على أحدكم أراك ماثلًا أمامى .

- أنا فى خدمتك يا سيدى .

- هل يمكننى أن أحصل على فنجان من الشاى الساخن ؟

- بالطبع دقيقتان فقط وأحضر لك ما تريد .

جلس (ممدوح) على مقعد وثير وقد مد ساقيه أمامه قائلًا لنفسه :

- لابد أن أغادر هذه الزنزانة فى أسرع وقت .

وفى الليل أطفأ أنوار الغرفة وتمدد فى فراشه متدثرًا بالغطاء .

لكن يديه كانتا تعملان بدقة وسرعة فى هاتفه المحمول الذى تم إعداده إعدادًا خاصًا بواسطة المساعدات الفنية فى المكتب (١٩) .

حيث قام بتصوير نفسه وهو متدثر بالغطاء .

ثم ضغط على زر فى هاتفه مرتين فتطاير من الجزء الخلفى منه عدستان رقيقتان ذات إطار مغناطيسى لتحلقا فى سماء الحجرة قبل أن تتوجه كل منهما فى اتجاه كاميرات المراقبة لتتوقف على بعد ثلاثة سنتيمترات فقط من عدستى الكاميراتين .

لتثبت صورة (ممدوح) وهو متدثر فى فراشه أمام عدستى الكاميرا وتحجب بقية ما يدور فى الغرفة .

مما مكنه من مغادرة سريره بسرعة والاستعانة ببعض أدواته الدقيقة لفتح الباب والتسلل على أطراف قدميه إلى الخارج مرتديًا ثيابًا رياضية .

ووجد الشخص المكلف بحراسته وهو يغط فى النوم بالخارج فلم يجد صعوبة فى الخروج من الجناح المحتجز فيه ليرى ثلاثة من رجال (شامل) ملتفين حول مائدة صغيرة بالخارج وهم يلعبون الورق ويتناولون الشراب وقد انطلقت ضحكاتهم مجلجلة .

فتسلل من خلفهم متجهًا إلى الجانب الآخر من المزرعة ، حيث لمح ثلاث شاحنات كبيرة وهى تتجه إلى طريق فرعى يخترق مجموعة كبيرة من الأشجار الكثيفة على جانبيه .

فأسرع يركض خلفهم متلفتًا حوله بحذر .

وانتهز فرصة توقف الشاحنات الثلاثة فجأة ليواصل الركض بأقصى ما لديه من سرعة مستترًا بالظلام الذى يلف المكان وانشغال اثنين من سائقى الشاحنات بالتحدث معًا .

كان الطريق الذى تقف فيه الشاحنات ضيقًا لا يسمح بوقوف سيارتين متجاورتين .

مما جعل الشاحنات تقف فى طابور خلف بعضها .

وعلى ضوء كشافات الشاحنة الأولى رأى أرضًا عشبية تمتد أمام الطريق الأسفلتى الضيق الذى تقف عليه الشاحنات وأدهشه أن يرى جزءًا من تلك الأرض العشبية يرتفع عاليًا فيما يشبه بابًا معدنيًا لمرأب كبير .

وقد تقدمت الشاحنات من خلاله فى طريقها إلى سرداب تحت الأرض .

بينما سارع (ممدوح) ليتعلق بالجزء السفلى من الشاحنة الأخيرة وهى تنطلق إلى الداخل .

وما إن توقفت الشاحنات حتى لمح على ضوء المصابيح المضاءة على جانبى الجدار بالداخل مجموعة من الصناديق والبراميل المتراصة بجوار الجدار القريب من الشاحنة التى يختفى أسفلها ، فسارع بالقفز إلى الأرض ليختبئ خلفها .

بينما كانت هناك بعض الصناديق والمعدات الأخرى يتم إنزالها من الشاحنات بواسطة مجموعة من الأشخاص .

واقترب أحدهم من المكان الذى يختبئ فيه (ممدوح) ليفتح أحد الصناديق حيث فوجئ برؤيته .

لكن قبل أن تمتد يده لسلاحه كان الأخير قد عاجله بلكمة جعلته يترنح مسقطًا سلاحه .

فأسرع بالتقاطه ليصوبه إليه وهو يهمس له أمرًا :

ـ استدر .

نظر إليه الرجل بارتباك فى حين عاد ليكرر قائلًا :

ـ قلت استدر .

أطاعه الرجل وهو ينظر إلى السلاح المصوب إليه وقد رأى التصميم فى عين (ممدوح) .

وسرعان ما انهال (ممدوح) بمؤخرة السلاح على رأسه فهوى الرجل أرضًا فاقدًا الوعى .

حيث قام بجره على الأرض خلف البراميل الفارغة مستغلًا ابتعاد الآخرين عن المكان ليستخدم بعض الحبال الملتفة حول الصناديق فى تقييده وتكميم فمه بعد أن جرده من ثيابه قبل أن يضعه فى إحدى تلك البراميل الفارغة واضعًا صندوقين فوقه .

وما لبث أن بدل ثيابه بثياب الرجل بعد استيلائه على سلاحه محاولًا إخفاء وجهه بالقبعة المكسيكية الكبيرة التى كان يضعها على رأسه .

وقد تقدم خلف سائقى الشاحنات الآخرين الذين وقفوا يتقاضون أجورهم من شخص قصير القامة غليظ الوجه وكثيف اللحية .

وقد تحدث إلى أحدهم قائلًا :

ـ أين (ريمون) ؟

ـ لا أدرى كان هنا منذ قليل ثم اختفى فجأة .

سارع (ممدوح) بالاندفاع خلف السائقين فى اتجاه أحد الأبواب المغلقة .

لكن الرجل القصير لمح القبعة التى تميزه فناداه قائلًا :

ـ (ريمون) .. إلى أين ؟ ألا تريد أن تتقاضى أجرك ؟

قال له بإسبانية خافتة دون أن يلتفت إليه :

ـ فيما بعد .

نظر إليه الرجل بدهشة قائلًا :

ـ غريب .. هذا أول مرة لا يأتى (ريمون) متلهفًا للحصول على أجره حاول (ممدوح) فتح الباب لكنه وجده مغلقًا فاتجه إلى الباب المجاور ليدير مقبضه فوجده ينفتح معه بسهولة وما إن تقدم إلى الداخل حتى رأى لوحًا زجاجيًا كبيرًا يطل على معمل كبير لتصنيع وتعبئة كميات ضخمة من الهيروين ، وتطلع إلى ذلك العدد الكبير من الكيمائيين .. ومساعديهم وعمال التعبئة وهو يغمغم قائلًا :

ـ يا له من وكر لتصنيع السموم .. إذن هنا يكمن الموت الذى يتم تصديره إلى العالم .

وبينما هو يراقب ما يدور أمامه فى ذلك العالم السرى فتح الباب فجأة ليسمع صوتًا أجش يأتيه من خلفه قائلًا :

ـ ماذا تفعل هنا ؟

التفت إليه قائلًا بأعصاب فولاذية :

ـ لا شيء استمتع بالمشاهدة .

مد الرجل يده إلى جرابه لجذب مسدسه .

لكن (ممدوح) ألقى بالقبعة الكبيرة فى وجهه .. ثم سدد ركلة قوية إلى يده أطاحت بسلاحه فى الهواء .

وقبل أن يستعد الرجل للمواجهة انقض عليه ليشل حركة ذراعه وهو يدفع بجبهته لترتطم بالحائط المجاور بشدة ، وهم بتصويب المسدس الذى استولى عليه إلى غريمه لكنه بادره بطعنة من سكينة أصابت رسغه وجعلته يتألم متخليًا عن مسدسه .

ثم هم بتسديد طعنة ثانية إلى صدره لكنه تفاداها بمهارة ليلتف حوله قابضًا بإحدى يديه على الحزام الملتف حول خصره وباليد الأخرى على ياقة سترته من الخلف قبل أن يدفع به بقوة ليخترق الحاجز الزجاجى مطلقًا صرخة مدوية وهو يهوى من أعلى فوق المعمل الكيمائى والعاملين به .

سقط الرجـل مرتطمًا بالطاولات الخشبية والقوارير الزجاجية ومئات الكيلوجرامات من الهيروين وسط دهشة الموجودين .

بينما سارع (ممدوح) إلى لوحة التوزيع الكهربائى خلفه ليفصل التيار الكهربائى عن المكان .

وسرعان ما ساد ظلام دامس حوله .. اتبعه حالة من الهرج والمرج بين الموجودين أسفل لتعم الفوضى المكان ، وقد انتزع (ممدوح) إطارًا شفافًا مثبتًا فوق زجاج ساعته ليثبته على إحدى عينيه كالمونوكل .

حيث ساعدته تلك العدسة الشفافة على الرؤية فى الظلام وهو يسارع بمغادرة المكان دون أن يراه أحد .

وركض بسرعة عائدًا إلى غرفته منتهزًا حالة الارتباك التى أصابت البعض وسعيهم للبحث عن مصدر للإضاءة .

وما لبث أن أصبح داخل الغرفة .. حيث أسرع إلى الحمام ليغسل يده من أثر الدماء التى تسيل من رسغه بسبب طعنه السكين ثم وضع عليه مطهرًا ورباطًا ضاغطًا .. قبل أن يعود إلى فراشه مستعيدًا العدستين اللتين أطلقهما لتثبيت صورته أمام الكاميرا لتعودا إلى هاتفه .

وفى تلك اللحظة كان (شامل) مجتمعًا مع خمسة عشر رجلًا من كبار تجار المخدرات فى العالم .. ومن بينهم واحد من أكبر المهربين فى مصر (كرم سليمان) .

وقد تحدث إليهم قائلًا :

- أيها السادة يؤسفنى أن أخبركم أننا سنضطر للتوقف عن التعامل فيما بيننا لفترة مؤقتة ربما تمتد لعامين أو ثلاث خلال المرحلة القادمة .

سرت همهمة بين الموجودين على أثر سماعهم لذلك .. أنهاها (شامل) قائلًا :

ـ الظروف الحالية اضطرتنا لذلك .. فالعيون أصبحت مسلطة علينا .. وأجهزة الأمن الدولية لديها شكوك قوية بشأن معاملنا ومخازننا هنا .. وقد ينقضون على المكان بين لحظة وأخرى .

لذا قررت تصفية كل نشاطى الحالى خلال الفترة الزمنية القادمة حتى تهدأ الأمور وتبتعد العيون عنّا قليلا .. ثم أبدأ فى نقل نشاطى إلى مكان آخر أكثر أمنًا .

تحدث أحدهم قائلًا :

ـ ولكن هذا سيتسبب لنا فى خسارة كبيرة .. فالطلب متزايد على البضاعة ونحن ...

قاطعه (شامل) قائلا :

ـ ولذلك يتعين عليكم أن تشاركونى فى تلك التصفية وتشتروا ضعف أو ضعفى الكميات التى كنتم تأخذونها من قبل .

فمن ناحية سيكون لكم رصيد احتياطى يكفى تجارتكم لفترة معقولة خلال التوقف .

ومن ناحية أخرى سيجعلكم هذا تتحكمون فى سعر السوق وتبيعون المخدرات بأضعاف ثمنها لأن ما أقدمه لكم سيصبح شحيحًا بعد التوقف .

تحدث آخر قائلًا :

ـ بالنسبة لى فليس لدىَّ من المال ما يكفى لشراء ضعف الحصة التى كنت أحصل عليها .

وردد عدد من الموجودين قائلين :

ـ ونحن أيضًا .. ليس بإمكاننا دفع مبالغ باهظة لشراء كميات مضاعفة .

أشار لهم بكلتا يديه للتوقف عن الصخب فصمتوا منصاعين وأعينهم تتعلق به .

حيث تحدث قائلًا :

ـ لا داعى للقلق .. فلن تكونوا مضطرين لدفع الأثمان مرة واحدة .. بإمكانكم دفع المبالغ المعتادة وكتابة شيكات بالمبالغ المتبقية وتقسيطها .

وصدقوننى ستحصلون فى المقابل على أضعاف الأرباح التى كنتم تحصلون عليها من قبل ولن تخسروا قرشًا واحدًا من المبالغ التى ستدفعونها الآن مقابل الشراء .

تحدث (كرم سليمان) قائلًا :

ـ وهل لديك ما يكفى لتغطية كل احتياجاتنا ؟

قال (شامل) بثقة :

ـ لدىّ ما يكفى ويزيد .. المهم أن نتفق الآن على حصة كل منكم .

تحدث آخر قائلًا :

ـ ولكن كيف سنحصل على الكميات المطلوبة فى ظل تلك الظروف التى تحدثت عنها .

لابد أن المكان الآن محاط بمراقبة أمنية دقيقة .

هذه مشكلتى أنا يا عزيزى (نيومان) وأنا الذى سيتكفل بحلها .. المهم أن تؤمنوا أنتم طريقة دخول الهيروين إلى بلادكم .

www.riwaya.ga

كان (كارى) جالسًا فى نهاية القاعة التى تحتوى على طاولة الاجتماع كالمعتاد يراقب ويستمع إلى ما يدور حوله .

حينما سمع رنين هاتفه فوضعه على أذنه ليستمع إلى أحد أعوانه وهو يخبره بما حدث فى معامل التصنيع .

وقد جحظت عيناه حينما سمع بذلك قائلًا :

ـ ماذا ؟

ـ هذا ما حدث يا سيدى .

انتفض واقفًا وهو يقول :

ـ انتظر مكانك سآتى إليك فورًا .

ولاحظ (شامل) ما طرأ على مساعده .

فنظر إليه بتساؤل .

حيث اقترب منه قائلًا :

ـ عذرًا يا سيدى أنا مضطر للمغادرة الآن .

لم يحاول أن يسأله عن السبب مكتفيًا بهز رأسه بالموافقة .

وما لبث أن توجه (كارى) إلى غرفة المراقبة التليفزيونية ليلقى نظرة على الكاميرات .

حيث كان (ممدوح) ما زال متدثرًا بغطائه وهو يتقلب فى فراشه متظاهرًا بنوم عميق .

قال للشخصين المسئولين عن المراقبة بانفعال شديد :

ـ هل غادر أحدكم المكان خلال الساعة الماضية ؟

أجابه أحدهم قائلًا :

ـ كلا يا سيدى لم نغادر مكاننا ولم نغفل عنه لحظة واحدة .

نظر إليهما شذرًا وهو يقول :

ـ هل كلاكما واثق أن هذا الوغد لم يغادر حجرته ؟

قال زميله :

ـ واثقان تمامًا يا سيدى أنه غارق فى نوم عميق منذ ما يزيد على ساعة ونصف .

قال (كارى) محتدًّا :

ـ إذن من هذا الذى فعلها واستطاع أن يقتحم معاملنا السرية ؟

وغادر المكان متجهًا إلى غرفة (ممدوح) وهو يسأل الشخص الذى يتولى حراسته قائلًا :

ـ قم من مكانك .. هل كنت نائمًا ؟

قال له مضطربًا :

ـ كلا يا سيدى .. أنا .. مستيقظ تمامًا .

ـ مظهرك لا يوحى بذلك .. هل رأيت ذلك الرجل بالداخل وهو يغادر حجرته ؟

ـ كلا .. كيف .. وكيف يمكنه فعل ذلك ؟ لقـد أوصدت باب الغرفة وكذلك النافذة ....

لم ينتظر (كارى) حتى يكمل .. حيث زعق فيه قائلًا :

www.riwaya.ga

ـ افتح الباب .

ـ حـ ... حاضر .

وسارع بفتح الباب ليدخل وينزع الغطاء عن وجه (ممدوح) بعد أن أضاء النور .

حيث نظر إليه بعينين مثقلتين وهو يصطنع الدهشة قائلًا :

ـ (كارى) .. هل حدث شىء ؟

قال له والشرر يتطاير من عينيه :

ـ ما الذى جعلك تغادر حجرتك وتذهب إلى المعامل السرية ؟

ـ أى معامل ؟.. إننى لم أغادر هذه الزنزانة التى تسمونها حجرة منذ ثلاث ساعات .. وكنت مستغرقًا فى النوم كما ترى قبل أن تقلق راحتى .

قال وعيناه تقدحان شررًا :

ـ هل أنت واثق من ذلك ؟

قال (ممدوح) باستخفاف :

ـ الأمر واضح ولا يحتاج لتوضيح .

أمسك برسغه الذى تحيطه الضمادة قائلًا بخشونة :

ـ لكنى بحاجة لأن توضح لى سبب هذا الجرح فى رسغك .

ـ آه .. هذا الجرح .. لقد جرحت نفسى وأنا أحاول تقطيع ثمرة التفاح .. على فكرة التفاح لديكم هنا لذيذ للغاية .

ـ حقًا .

ونادى قائلًا :

ـ أحضروا (باولو) إلى هنا ؟

وما لبث أن دخل الحارس وبصحبته ذلك الرجل الذى وضعه (ممدوح) مقيدًا فى البرميل .

حيث أشار (كارى) إلى (ممدوح) قائلًا :

ـ هل رأيت هذا الشخص من قبل ؟

حدق (باولو) فى (ممدوح) قائلًا :

ـ أجل .. إنه نفس الشخص الذى كان مختبئًا فى المعمل السرى وقام بضربى وتقييدى .

***

الفصل السابع

سار (ممدوح) وسط حراسة مدججة بالسلاح يتقدمه (كارى) بين الطاولات الخشبية المزدحمة بالقوارير وأنابيب الاختبار والمعدات الضخمة لتجهيز وتصنيع الهيروين فى صورته السائلة وكمسحوق ، وسط عشرات من العاملين ما بين كيمائيين متخصصين وعمال تعبئة وتخزين .

وقد عاد يتأمل كل تلك الكميات الهائلة من السموم المعدة لتدمير أعصاب وحياة وإرادة الملايين حول العالم .

وما لبث أن سمع صوتًا مجلجلًا يأتيه قائلًا :

ـ ما رأيك يا سنيور (ممدوح) فيما تراه ؟ أليس هذا هو ما جئت من أجله ؟

تأمل جيدًا فما تراه أمامك يساوى المليارات .. إنه الذهب الأبيض الذى يعد أغلى تجارة فى العالم بعد السلاح .

والعاملون فى هذه التجارة ينفقون ببذخ من أجل حماية عملهم والحفاظ على استثماراتهم فيها .. وهم مستعدون دائمًا لمحاربة كل من يحاول الاقتراب منها أو الاعتداء عليها بكل الوسائل المشروعة وغير المشروعة .

نظر (ممدوح) عاليًا ليرى (شامل) واقفًا فى الطابق العلوى وبيده ميكروفون يتحدث منه .. وقد استطرد قائلًا :

ـ هل ظننت حقًا أنك تستطيع أنت وتلك الوكالة الأمنية التى أرسلتك أن تدمروا هذا العمل الضخم وتقضوا عليه ؟

أنتم لا تعرفون من تحاربون .. وأظنها حماقة ممن أرسلوك أن شخصًا واحدًا مثلك قادر على القضاء على (شامل) وإمبراطوريته .

كان (ممدوح) يتظاهر بالاستماع وإصبعه تحرك زر ساعته ليجعله يرتفع قليلًا .. ثم أداره فى الاتجاه العكسى دون أن يلحظ أحد ذلك ، وفى مكان غير بعيد عن المزرعة تلقى أحدهم الإشارة التى أرسلها (ممدوح) .. فأسرع على الفور إلى (بابلو) قائد كتيبة الخفافيش قائلًا :

ـ لقد تلقيت إشارة البدء .

هب (بابلو) قائلًا :

ـ هذا يعنى أن نستعد للهجوم .. الجهاز قادر على تتبع مصدر الإشارة؟

ـ أجل الاستقبال عندى واضح وجيد .

قال وهو يرتدى سترته العسكرية ويتفحص سلاحه :

ـ حسنًا .. أخطر الجميع بالاستعداد للمواجهة .. سنرحل خلال لحظات إلى المزرعة .

وفى تلك اللحظة كان (ممدوح) يسعى لكسب مزيد من الوقت وهو يقول لـ (شامل) مستخفًا :

ـ لقد سمعت هذه العبارة من قبل من أشخاص على شاكلتك كانوا يدعون أنهم غير قابلين للهزيمة وأن لديهم إمبراطوريات منيعة .. ومع ذلك هزموا وانهارت إمبراطوريتهم ولم يفيدهم غرورهم بشىء .

دفع (كارى) عنق (ممدوح) من الخلف ليسقط وجهه فى صندوق زجاجى ملىء بمسحوق الهيروين قائلًا بحنق :

ـ لقد ضقت بهذا الرجل ذرعًا .

بينما هبط (شامل) درجات السلم المعدنى إلى أسفل مقتربًا منه وعلى وجهه ابتسامة ساخرة ليجذبه من شعره وقد تلطخ وجهه بالبودرة قائلًا :

ـ هل رأيت أن (كارى) لم يعد يحتمل وجودك ويصر على التخلص منك على الفور .. لكنى أردت أن أحقق لك رغبتك الأخيرة قبل الرحيل .. أليس هذا ما يفعلونه بالمحكوم عليهم بالإعدام ؟

قال (ممدوح) متحديًا :

ـ إذن عليك أن تفكر منذ الآن فى رغبتك الأخيرة قبل أن يحكم عليك بالشنق .

عاد (شامل) ليدفع برأس (ممدوح) داخل الصندوق الزجاجى قائلًا بغلظة هذه المرة :

ـ ما رأيك فى الهيروين الخام يا صديقى ؟ هل أعجبك ؟

ثم عاد ليجذبه من شعره ثانية وهو يردف قائلًا :

ـ لقد أتعبتنا كثيرًا لذلك أرى أنك لا تستحق ميتة تقليدية .. ما رأيك فى جرعة زائدة من الهيروين أو عدة جرعات تقتلك ببطء .

صوب (كارى) مسدسه إلى رأس (ممدوح) قائلًا :

ـ اسمح لى سنيور (شامل) فأنا مازلت أفضل الوسائل التقليدية رصاصة واحدة وننهى الأمر .

وضع (شامل) يده على يد (كارى) ليخفض مسدسه قائلًا :

ـ مع الأسف لديك خيال محدود فى هذا الشأن .. إنه لا يستحق هذه الميتة الرحيمة .

وفى أثناء ذلك كان (ممدوح) قد لمح على مقربة منه قارورة زجاجية موضوعة فوق موقد غاز لإذابة الأفيون وتحويله إلى حالة سائلة .

فتظاهر بالاستناد إلى الطاولة الخشبية بيده ليقفز عاليًا فى حركة أكروباتية هوائية مسددًا ركلة قوية إلى القارورة الزجاجية أطاح بها فى الهواء مطيحًا بالسائل الساخن على وجه (كارى) .

أطلق (كارى) صرخة مدوية .. وهو يفلت المسدس من يده واضعًا يديه على وجهه .

بينما بادر (ممدوح) بالضغط على عنق (شامل) من الخلف ليدفع بوجهه داخل الصندوق الزجاجى المحتوى على الهيروين على نحو ما فعل به وسط ذهول الموجودين الذين شلتهم المفاجأة .

www.riwaya.ga

وعندما جذبه من شعره ليرفع وجهه من داخل الصندوق كان قد التقط المسدس الذى سقط من (كارى) ليصوبه إلى رأسه وهو يطوق عنقه بذراعه فى اللحظة التى صوبت فيها إليه أسلحة حراسه .

وقد صاح بلهجة آمرة فى المحيطين به :

ـ حركة واحدة خاطئة سيدفع رئيسكم رأسه ثمنًا لها .

وفى تلك اللحظة كان أفراد كتيبة الخفافيش قد تمكنوا من التسلل إلى المزرعة بعد عدة معارك سريعة صامتة مع القائمين على حراستها أدت إلى شل حركتهم تمامًا .. قبل أن يواصلوا تسللهم إلى الداخل .

بينما تراجع (ممدوح) إلى الخلف وهو ما زال قابضًا على (شامل) ومسدسه مصوب إليه .

وفجأة انقض اثنان من أعوان (شامل) عليه من الخلف ليشلًا حركته وقد قبض أحدهما على رسغه جاعلًا فوهة المسدس إلى أعلى .

وقد جاهد لمقاومتهما قبل أن يهاجمه اثنان آخران حيث همَّ أحدهم بإطلاق الرصاص عليه .

لكن (شامل) أمره بالتوقف قائلًا :

ـ انتظر .

ثم تناول بمقبض خشبى قارورة أخرى من السائل الساخن مقتربًا منه وهو يقول :

ـ لقد أحرق وجه مساعدى وتجرأ بالاعتداء علىّ .. فعلينا أن نحرق وجهه أولًا ثم لا أقل من أن نقتله ببطء كما وعدته من قبل .

وقبل أن يسكب السائل الساخن على وجه (ممدوح) الذى شلّت حركته انطلقت فجأة رصاصة لتصيب القارورة وتهشمها فى الهواء .. وقد انسكب بعض من السائل على يد (شامل) الذى صرخ بدوره متألمًا .

وتطلعت الوجوه إلى مصـدر إطـلاق الرصاص ليفاجأوا بخمسة عشر رجلًا مسلحًا يرتدون الثياب العسكرية المموهة ويضعون على وجوههم أقنعة الخفافيش وهم يقتحمون المكان بواسطة الحبال وقفزوا فى الهواء بطريقة أكروباتية باغتت الجميع .

وسرعان ما دارت معركة مروعة فى المكان بين أعوان (شامل) ورجاله وتلك الكتيبة البهلوانية المدربة على كل أنواع القتال وقد عمت الفوضى المكان .

وأحس (شامل) بالخطر .. فاندفع إلى باب جانبى محاولًا الهرب .

بينما أسرع (ممدوح) خلفه محاولًا اللحاق به .

لكن (كارى) اعترض طريقه وقد تشوّه وجهه شاهرًا سيفًا حادًا فى وجهه وهو يقول :

ـ لن تنجو هذه المرة أيها الوغد .

تفادى (ممدوح) ببراعة الطعنة المسددة إليه ، لكن غريمه أعاد المحاولة لتسفر عن تمزيق جزء من ثيابه وإصابته بجرح سطحى فى ذراعه .

وثب (ممدوح) فوق إحدى الطاولات الخشبية متفاديًا الطعنة الثالثة .

ثم قفز فى الهواء مسددًا ركلة قوية إلى اليد القابضة على مقبض السيف ليطيح به من يده .

ثم ارتكز على قدمه اليمنى ليسدد ركلة ثانية بقدمه اليسرى إلى صدر غريمه جعلته يرتد إلى الوراء قبل أن يدور حول نفسه بسرعة خاطفة ليعاجله بركلة ثالثة فى وجهه أطاحت به فوق طاولة مليئة بمسحوق الهيروين ليسقط فوقها على ظهره .. وهو ينظر إليه قائلًا بتهكم :

ـ هل تريد أن تتناول جرعة من السموم التى تعدونها هنا ؟

حسنًا ها أنت قد أصبحت غارقًا فيه حتى أذنيك .

واستدار محاولًا اللحاق بـ (شامل) .

بينما أسرع (كارى) ليقفز من فوق الطاولة محاولًا استعادة مسدسه وإطلاق الرصاص عليه من الخلف .

لكن قبل أن يفعل وجد نفسه مرفوعًا إلى أعلى وقد أحاطت ذراع قوية بخصره .

بعد أن التقطه أحد أفراد الخفافيش وهو متدلٍّ بحبل يمتد إلى السقف ليحمله بعيدًا ، قائلًا بسخرية :

ـ إياك والألعاب الخطرة فهى تضر كثيرًا .

اندفع (ممدوح) عبر الباب الذى رأى (شامل) يدلف إليه حاملًا سلاحه .. لكنه لم يعثر له على أثر .

كانت حجرة خالية .. ووجد نفسه بين أربعة جدران صماء يتصدر أحدها تمثال حجرى لقرد كبير .

فاقترب من التمثال ليتفحصه .. وقد استرعى انتباهه أن ذيل القرد ليس حجريًا كبقية التمثال وإنما يبدو على شكل سلسلة معدنية مغطاة بطبقة حجرية ، فجذب الذيل ليجد الجدار وقد تحرك أمامه فجأة خلف التمثال كاشفًا عن فراغ خلفه .

ولم يتردد فى التسلل عبر الفجوة الواسعة خلف الجدار ليجده وقد انغلق خلفه بطريقة فجائية أيضًا .

كان المكان مظلمًا .. فأخذ يتحسس طريقه وسط الظلام الدامس .

وفجأة سمع زمجرة وحشية تتردد فى المكان الذى أضىء حوله ليجد نفسه مسجونًا داخل صندوق زجاجى كبير .

وسرعان ما تلقى ضربة هائلة على يده أسقطت سلاحه فاستدار ليجد نفسه فى مواجهة أنياب ضاربه كشفت عنها تكشيرة وحشية مخيفة .

وقد أصبح وجهًا لوجه أمام الغوريلا الضخمة .

بينما جلجلت ضحكات (شامل) فى أرجاء المكان وهو يقول له ساخرًا :

ـ أنت تعرف جامبا بالطبع .. وقد سبق لك رؤيتها وهى تفتك بالدب .. وأظن أنه آن الأوان لتتعارفا بصفة شخصية وعن قرب .

وداعًا يا صديقى .. يؤسفنى أننى مضطر لمغادرة هذا المكان والرحيل سريعًا قبل الاستمتاع برؤية هذا اللقاء الودى .

نظر (ممدوح) إلى الغوريلا التى وقفت تتفحصه بنظراتها المخيفة وزمجرتها الوحشية وقد التمعت عيناها ببريق غاضب .. وقد أدرك أنه مقبل على الهلاك .

وسرعان ما سددت له الغوريلا ضربة قوية بيدها قذفت به إلى نهاية الصندوق الزجاجى .

قبل أن ترفعه بين يديها كطفل صغير وهى تواجهه بأنيابها المخيفة ثم ألقت به على الأرض .. وقد شعر (ممدوح) بعموده الفقرى يكاد يتحطم من أثر الوقوع .

واستعدت الغوريلا للانقضاض عليه مجددًا .. لكنه تدحرج على الأرض سريعًا ليصل إلى سلاحه محاولًا الإمساك به .

بينما بدا وكأن جامبا قد أدركت ما يريده فضربت بقدمها على يد (ممدوح) ضربة ساحقة أحس معها وكأن حجرًا ضخمًا قد هوى فوق يده وكاد يحطمها .

وأمسكت الغوريلا بكتفيه لترفعه ثانيًا حيث بدت وكأنها تستعد لأن تنشب أنيابها الحادة فى عنقه هذه المرة .

فأسرع بإخراج مصباح ضوئى صغير كان يضعه فى جيبه الخلفى ليسلط ضوئه فى عينى الوحش .

انزعجت جامبا من الضوء المبهر الذى غمر عينيها مما جعلها تسقط (ممدوح) من يدها متراجعة إلى الوراء .

وقبل أن تعاود مهاجمته من جديد كان قد استعاد سلاحه بسرعة البرق ليطلق عليها رصاصتين فى صدرها ورأسها .

لكن الرصاصتين لم تقضيا عليها فى الحال .. بل زادتها وحشية وضراوة فانقضت عليه لتنشب مخالبها فى ذراعه على نحو جعل (ممدوح) يصرخ متألمًا .

لكن سرعان ما هوى الوحش فوقه وقد خمدت حركته تمامًا بعد أن أحدثت الرصاصتان أثرهما فى جسده الضخم وقضت عليه .

أزاحه (ممدوح) من فوقه بصعوبة وقد ظل راقدًا على ظهره للحظات محاولًا التقاط أنفاسه وهو لا يصدق أنه قد نجا من أنياب ذلك الوحش المخيف .

وما لبث أن استعاد سلاحه ليطلق رصاصتين أخريين على أحد جانبى الصندوق الزجاجى لكن الزجـاج كان مزدوجًا ومضغوطًا فلم تتمكن الرصاصات من تهشيمه وأحدثت به بعض الصدع فقط .

مما اضطره لأن يعود عبر الجدار الحجرى خلفه من حيث أتى ليكتشف أن المعركة قد انتهت وحسمت لصالح كتيبة الخفافيش بعد قتل عدد من أعوان (شامل) والقبض على الباقين .

وما إن رآه (بابلو) حتى هتف قائلًا :

ـ سنيور (ممدوح) .. أين كنت ؟ لقد كنا نبحث عنك فى كل مكان .

سأله (ممدوح) وهو يتلفت حوله قائلًا :

ـ هل انتهى الأمر ؟

ـ تستطيع أن تقول ذلك .. وقد خسرت ستة من رجالى خلال المعركة .

ـ يؤسفنى ذلك .

أطرق (بابلو) قائلًا :

ـ وأنا أيضًا .. لكنهم كانوا يعرفون أن هذا جزء من عملهم وأنهم يخاطرون بأرواحهم من البداية .. هل تمكنت من الوصول إلى (شامل) ؟

ـ مع الأسف تمكن من الهرب قبل أن أصل إليه .

ـ لم يعد متبقيًا من مهمتنا سوى تلغيم هذا المكان وتفجيره خاصة المعامل والمخازن .. وقد قمنا بوضع المتفجرات بالفعل فى المكان تأهبًا لتفجيره .

كان ينقصنا فقط العثور عليك وإخراجك من هنا قبل التنفيذ .

ـ ماذا عن (كارى) ؟

ـ قبضنا عليه مع الآخرين .

غمغم (ممدوح) قائلًا :

ـ سيكون من المفيد للغاية بالنسبة للمسئولين هنا أن يحصلوا على كل ما لديه من معلومات بشأن إمبراطورية الشر التى أقامها (شامل) فوق الأراضى المكسيكية .. خاصة وأن لديه قائمة كبيرة بأكبر مهربى المخدرات فى العالم .

وعاد ليلقى نظرة على المكان وهو يستطرد قائلًا :

ـ حسنًا .. فلنرحل من هنا .

وحلقت المروحية القريبة من المكان بـ (ممدوح) وبقية أفراد الكتيبة بينما صوت التفجيرات الهائلة يدوى فى الوكر السرى لإمبراطورية الشيطان داخل المزرعة مدمرًا كل ما زرعه من شر فى هذا المكان .

***

الفصل الثامن

قال (ممدوح) معترضًا وهو يضع الهاتف على أذنه :

ـ يا فندم مهمتى لم تنتهِ بعد .. فما زال ذلك الشيطان حرًا طليقًا ولابد من العثور عليه قبل أن يعاود نشاطه مجددًا فى مكان آخر .

لكن صوت اللواء (مراد) أتاه قائلًا :

ـ هناك معلومات وثيقة أن الحكومة المكسيكية تتحرى عن نشاطك فى المكسيك ومدى تورطك فيما حدث بتلك المزرعة وتفجيرها .. ونحن لا نريد أى مشاكل مع المسئولين هناك .

ـ كان عليهم أن يشكرونا لأننا قضينا على تلك الإمبراطورية الشريرة فى بلادهم ودمرنا واحدًا من أكبر أوكار المخدرات فى العالم .

ـ بعضهم ممتن بالفعل ولذلك يحاولون غض البصر عما حدث لكن البعض الآخر خسر الكثير من جراء ما فعلته .. أشخاص كانوا يكسبون الملايين من وراء (شامل) وإمبراطوريته وهم ما زالوا يسعون لحمايته .

ـ لذلك لابد من وضع نهاية لهذا الشر المتمثل فى رجل .. وقطع رأس الثعبان بدلًا من الاكتفاء بقطع ذيله .

ـ قلت لك لا نريد التورط فى أى مشاكل على المستوى الرسمى احزم حقائبك وعد .. ويكفيك فخرًا ما فعلته .

فتجارة المخدرات تلقت ضربة قاصمة سيستمر أثرها لعدة سنوات بعد التفجيرات التى حدثت فى المزرعة .

قال (ممدوح) مستسلمًا وهو يشعر بخيبة أمل :

ـ حاضر يا فندم .. سأعد حقائبى وأعود إلى القاهرة كما أمرت .

ـ بأسرع وقت .. لامجال للانتظار أكثر من ذلك .

***

وقف (ممدوح) ليشير إلى سيارة أجرة تقله إلى المطار ومعه حقيبته .

وسرعان ما توقفت السيارة أمامه .. وقد هم بفتح بابها .. لكن قبل أن يركب سمع صوتًا يناديه قائلًا :

ـ سنيور (ممدوح) .

التفت ليرى شخصًا مقبلًا عليه وعلى وجهه ابتسامة عريضة ، وما لبث أن تبين له أن هذا الشخص هو أحد أفراد كتيبة الخفافيش .. فابتسم له وهو يصافحه قائلًا :

ـ أهلًا يا .....

ـ ألفريد من الخفافيش .

ـ أجل .. لقد عرفتك .

وسرعان ما تبدلت ملامح الرجل لتأخذ مظهرًا خشنًا .. وقد ألصق فوهة مسدسه الكاتم للصوت بجنب (ممدوح) قائلًا :

ـ ما دمت تعرفنى .. فعليك أن تكون عاقلًا وتطع أوامرى .

ودفعه إلى داخل السيارة وهو يردف قائلًا :

ـ هيا اركب بهدوء .

وركب بجواره وهو ما زال ملصقًا فوهة سلاحه بجانب (ممدوح) الذى أبدى استغرابه قائلًا :

ـ ما سر هذا التحول المفاجئ ؟

قال له ساخرًا :

ـ لا تستغرب فالمتحولون كثيرون .

ـ إلى أين سنذهب ؟

ـ ستعرف عندما نصل .

أشار إلى السائق قائلا :

ـ هل هو زميلك ؟

رفع السائق كاسكيت يضعه على رأسه قائلًا :

ـ مرحبًا يا سنيور .

تحول (ممدوح) إلى رفيقه قائلًا :

ـ لكنى أعرف أن أفراد كتيبة الخفافيش يتميزون بالإخلاص والثقة .

ابتسم ألفريد قائلًا :

ـ لا تنسَ أننا فى النهاية مجرد مرتزقة ندين بالولاء لمن يدفع أكثر.

ـ لا أظن أن أشخاصًا مثل (بابلو) وكثيرًا من زملائك على شاكلتك .. صحيح أنكم تتقاضون أجرًا لكن لم أكن أعتبركم مرتزقة كما تقول .

قال له متهكمًا :

ـ هذا تصور ساذج من عميل يفترض فيه أنه محترف ففى النهاية لسنا كلنا مثاليين على نحو ما تظن .

قال (ممدوح) وهو يتطلع إلى الطريق حوله :

ـ وهل دفع لك (شامل) مبلغًا مناسبًا لتقودنى إليه ؟

ضحك قائلًا :

ـ يعجبنى ذكاؤك .. أجل المبلغ مناسب جدًا بالنسبة لى .

استرعى انتباهه تلك الاحتفالات الصاخبة التى تدور حوله وذلك الازدحام الذى قطع عليهم الطريق وأجبر السائق على السير ببطء .

مما جعله يضغط على بوق السيارة ليفسحوا له الطريق .

فسأل قائلًا :

ـ يبدو أنه احتفال محلى .

قال السائق بضيق :

ـ أجل .. إنه ذلك الكرنفال السنوى المزعج .

وعاد ليضغط على بوق السيارة منفعلًا وهو يقول :

ـ هيًا .. أفسحوا الطريق أيها الأوغاد .

وما لبث أن اقتربت فتاة تحمل الزهور بين أيديها وقد استغلت سير السيارة ببطء شديد لتدفع بباقة من الزهور إلى نافذة السيارة فى الجهة التى يجلس إليها (ممدوح) قائلة بتوسل :

ـ اشترِ منى تلك الباقة يا سيدى بثمانية بيزو فقط .

قال (ممدوح) مبتسمًا وهو يمد يده إلى جيبه متلفتًا إلى (ألفريدو) قائلًا :

ـ لا مانع .. هل تسمح ؟

قال له بخشونة :

ـ أبعد يدك عن جيبك .

ثم أردف قائلًا للفتاة :

ـ ابتعدى عن هنا .

قال (ممدوح) متهكمًا :

ـ لا مانع أن نذهب إلى صديقنا العزيز (شامل) وفى أيدينا باقة زهور جميلة .. ستكون مجاملة لطيفة أليس كذلك ؟

ألحت الفتاة قائلة :

ـ خذها بسبعة بيزو فقط .. من فضلك يا سيدى .. إنه يوم الاحتفال .

ضغط (ألفريدو) على زر بجواره ليغلق نافذة السيارة فانحشرت يد الفتاة الممسكة بباقة الزهور بين زجاج النافذة وأطارها .

مما جعلها تصرخ قائلة :

ـ آه .. آه .. يدى .. يدى .

بينما استشاط (ألفريدو) غضبًا .. وعاد ليفتح النافذة قليلًا ليحرر يد الفتاة وهو يغمغم قائلًا :

ـ يا للفتيات المتشردات اللعينات .

وسرعان ما استغل (ممدوح) انشغال الرجل بفتح النافذة ليجذب باقة الزهور من يد الفتـاة فى حركة مباغتة ويدفع بها إلى وجهه مشتتًا انتباهه .

ثم أطبق على يده القابضـة على المسدس ليحـول اتجاهها إلى الأمام فى اللحظة التى استدار فيها السائق خلفه ليصـوب إليه مسدسه .

وانطلقت رصاصة (ألفريدو) لتصيب السائق الذى اختلت عجلة القيادة فى يده قبل أن يلقى حتفه .

بينما أخذ (ممدوح) يضرب يد غريمه بقوة فوق المقعد الأمامى ليجبره على التخلى عن سلاحه حتى تمكن من ذلك ؛ لينهال على فكه بلكمة كالمطرقة ترنح على أثرها .

بينما ظلت السيارة تواصل طريقها دون قيادة وهى تنحرف يمينًا ويسارًا وسط صرخات الذين سارعوا بالهرب من طريقها .

وسرعان ما فتح (ممدوح) باب السيارة ليجذب غريمه معه من سترته ملقيًا به على الأرض التى أخذا يتدحرجان عليها سويًا .

وقد تلفت وهو ما زال راقدًا على ظهره بعد أن أثخن جسده بالجروح والتسلخات ليجد أن كل مظاهر الاحتفال والصخب قد تلاشت حولهما من أثر الذعر الذى أحدثته السيارة الطائشة .

وما لبث أن نهض متحاملًا على نفسه وهو يجذب معه (ألفريدو) من سترته وهو لا يزال مترنحًا من أثر السقوط قائلًا له :

ـ والآن تبدل الموقف يا صديقى .. فبدلًا من أن تأخذنى إلى ولى نعمتك الجديد سيتعين عليك أن تقودنى إليه مرغمًا .

وفى تلك اللحظة انطلقت دراجتان بخاريتان لتحيط بهما .. يقود أحدها (بابلو) ويقود الثانية زميله (خوميز) من كتيبة الخفافيش وقد حدث (بابلو) (ممدوح) وهو يشير إلى (ألفريدو) قائلًا :

ـ لقد خاننا هذا الوغد وباع نفسه لـ (شامل) فجئت أنا و(خوميز) لنحذرك منه .

لكننا وصلنا فى اللحظة التى ركبت فيها معه سيارة الأجرة مما جعلنا ننطلق خلفكما محاولين اللحاق بك ولولا الزحام الذى عم المكان لوصلنا فى الوقت المناسب .

ابتسم (ممدوح) قائلًا :

ـ لقد وصلتما فى الوقت المناسب تمامًا .

www.riwaya.ga

اندفع (خوميز) نحو (ألفريدو) ليضع سكينًا على عنقه قائلًا بغضب :

ـ لقد أسأت لسمعتنا أيها القذر وستدفع ثمن ذلك غاليًا .

لكن (ممدوح) استوقفه قائلًا :

ـ كلا .. أريده حيًا .

أشار إليه (بابلو) ليتوقف قائلًا :

ـ عفوًا يا سيدى .. لكن لدينا قوانين يعرفها هذا الوغد جيدًا لمن يخالف قوانيننا ويخرج عليها .

ـ أعرف ذلك .. لكننى أحتاجه يا (بابلو) .

ـ كما تريد سنيور (ممدوح) .. فلنؤجل العقاب لما بعد .

عادت الدراجتان البخاريتان لتنطلقا ثانية .

وعلى أحدهما (بابلو) و(ممدوح) .. وعلى الثانية (خوميز) و(ألفريدو) وقد وثقت يداه من الخلف .

وما لبثوا أن وصلوا إلى أحد الشواطئ المطلة على خليج المكسيك .

حيث استقر قارب بخارى على مقربة من الشاطئ ، وقد أشار (ألفريدو) إلى نقطة بعيدة فى البحر قائلًا :

ـ هذا هو اليخت الذى ينتظرنا فيه (شامل) .

وضع (بابلو) منظارًا مكبرًا على عينيه مترقبًا اليخت وهو يقول :

ـ هذا صحيح ها أنا قد لمحته ومعه ثلاثة من أعوانه .

تناول (ممدوح) المنظار لينظر بدوره قائلًا :

ـ يتعين علينا ألا نتأخر عليه أكثر من ذلك .

وصافح (بابلو) وزميله قائلًا بامتنان :

ـ لا أعرف كيف أشكركما على ما قدمتماه من مساعدة .

ابتسم (بابلو) قائلًا :

ـ نحن لم نفعل شيئًا بالعكس نحن آسفين لما .....

ـ يكفى أنكما أعدتما لى الثقة فى الفريق الذى تنتميان إليه .

صافحه (بابلو) قائلًا :

ـ لقد سعدت بلقائك مجددًا يا سنيور (ممدوح) .

واستقل (ممدوح) و(ألفريدو) القارب فى طريقهما إلى اليخت .

وقد وضع (ممدوح) إصبعه على زناد مسدس أخفاه فى جيب سترته مصوبًا فوهته فى اتجاه (ألفريدو) بينما أمسك (ألفريدو) بمسدس خالٍ من الطلقات متظاهرًا بتصويبه لـ (ممدوح) بعد أن طلب منه ذلك .

فقد عرف أن الموجودين على اليخت يرقبونهما بنظارتهم المكبرة ومن الطبيعى أن يبدو (ممدوح) أسيرًا لديه .

اقترب القارب من اليخت ليتحدث (ممدوح) إلى رفيقه قائلًا :

ـ كن حذرًا ولا تنسَ أن هــذا المسدس الذى تصوبه إلىَّ فارغ من الطلقات فى حين أن سلاحى محشوٌّ بالكامل .

ـ وما لبثا أن صعدا إلى ظهر اليخت ليجد (شامل) واقفًا فى انتظاره .. وقد ابتسم قائلًا :

ـ ها نحن قد عدنا لنلتقى سنيور (ممدوح) .

ابتسم (ممدوح) بدوره قائلًا :

ـ يسعدنى ذلك سنيور (شامل) .. فقد افترقنا فى المرة السابقة دون وداع مناسب .

وراقب الرجال الثلاثة المدججين بالسلاح وهو يستمع لـ (شامل) قائلًا :

ـ أجل وأظن أنه سيكون الوداع الأخير بيننا .

قال (ممدوح) بهدوء :

ـ لا أظن أن أحدنا سيفارق الآخر طواعية بعد هذا اللقاء .

هز (شامل) رأسه قائلًا :

ـ أنت محق فى ذلك سيضطر أحدنا إلى فراق الآخر فراقًا أبديًا .

وفى تلك اللحظة وثب (ألفريدو) بجوار (شامل) مبتعدًا عن (ممدوح) وهو يصرخ قائلا :

ـ إنه يخفى سلاحًا فى جيبه .

أزاحه (شامل) بعيدًا ليطلق عليه رصاصة أردته قتيلًا .

قائلًا لأعوانه :

ـ ألقوا بهذا الكلب فى البحر .

وسرعان ما نفذوا أوامره ملقين بالرجل من فوق سياج اليخت بينما تحول (شامل) إلى (ممدوح) مصوبًا إليه سلاحه وهو يقول :

ـ ارفع يديك عاليًا وحذارِ أن تلمس سلاحك .

أطاع (ممدوح) الأمر فى حين قام أحدهم بتجريده من مسدسه .

وقد عاد (شامل) ليقول مشيرًا (لألفريدو) :

ـ إنه غبى وأنا لا أطيق الأغبياء فما كان يتعين عليه أن يتركك تقوده إلى هنا بينما يفترض أن يفعل العكس .

أما أنت يا سنيور (ممدوح) فأشهد لك بالذكاء .. لذا كنت أتمنى أن أقدم لك ميتة تتناسب مع شخص له ذكاؤك .

لكنك استطعت أن تفلت فى كل مرة من النهاية التى تليق بك ويبدو أنه لا مناصَ هذه المرة وكما قال (كارى) من اللجوء إلى الوسائل التقليدية فليس لدىَّ الوقت الكافى للعب معك .

وصوب إليه مسدسه مستطردًا :

ـ وداعًا سنيور (ممدوح) .

لكن فجأة أطلق أحد أعوانه صرخة مدوية وهو يسقط فوق سطح السفينة مضرجًا فى دمائه بعد أن انغرس حد خنجر فى صدره قذف عليه من حافة السفينة .

www.riwaya.ga

وفى نفس اللحظة تهاوى الآخر بعد أن استقرت حربة أطلقت من بندقية صيد مائية لتصيب عنقه .

وسرعان ما أطلق الثالث دفعة من نيران مدفعه الآلى نحو ذلك الشخص الذى ظهر فوق حافة سياج السفينة مطلقًا الحربة ، لكنه اختفى فجأة من أمام عينيه .

فاندفع ينظر من فوق السياج وهو قابض على سلاحه بحثًا عنه .

لكنه وجد أربعة أيادٍ قوية تجذبانه من سترته لتلقى به فى البحر .

وانتهز (ممدوح) فرصة التفات (شامل) ناحية السياج .. ومباغتته بهذا الهجوم المفاجئ .. لينقض عليه بقوة ممسكًا برسغه جاعلًا طلقات سلاحه تطيش فى الهواء .

ثم قام بثنى ذراعه بصلابة لينتزع المسدس منه مصوبًا فوهته لرأسه .. وهو يقول :

- حركة واحدة وتودع رأسك .

وما لبث أن قفز إلى سطح السفينة كل من (بابلو) و(خوميز) .

وقد ابتسم (بابلو) قائلًا :

- فى خدمتك سنيور (ممدوح) .

ابتسم (ممدوح) قائلًا :

www.riwaya.ga

ـ لكنى لم أتفق معكما على اللحاق بى .

قال (خوميز) بمرح :

ـ لكنى اتفقت مع صديقى (بابلو) أننا لن ندعك تخوض هذه المخاطرة بمفردك .

قال (ممدوح) مازحًا :

ـ لن أستطيع أن أدفع لكما أجرًا فى مقابل ذلك .

ضحك (بابلو) قائلًا :

ـ اعتبرها خدمة مجانية هـذه المرة .. على الأقل حتى ننقذ سمعة الخفافيش التى أساء إليها (ألفريدو) .

واستغل (شامل) فرصة انشغال (ممدوح) بالحديث إليهما ليباغته بضربة قوية من مرفقه فى جنبه .

وانتهز فرصة وجوده على مقربة من سياج السفينة ليقفز إلى البحر بسرعة فائقة .

ولم يتوانَ (ممدوح) فى اللحاق به قافزًا فى الماء ليغوص خلفه .

وما لبث أن عثر عليه فسبح نحوه عاقدًا العزم على ألا يفلته .

أمسك بسترته ليسدد له لكمة قوية ، وقد أراد أن يبادله إياها .. لكنه تفاداها سريعًا بينما أشهر (شامل) سكينًا حادًا فى وجهه .

www.riwaya.ga

ليسدد طعنة إلى (ممدوح) مزقت سترته دون أن يصل حد السكين إلى كتفه .

وقد التف الأخير حوله ليشل حركته ضاغطًا على ذراعه الذى لواه بقوة حتى أفلت السكين من يده .

شعر كلاهما بالاختناق وضيق التنفس مـن هـذا الصراع العنيف تحت المـاء .

فجذبه (ممدوح) معه ليصعدا برأسيهما فوق السطح وهما يشهقان ليحصلا على جرعة كافية من الهواء .

وقبل أن يعود لمواجهة غريمه الذى أطبق على عنقه بأصابعه محاولًا خنقه .

لكنه قاومه بشدة دافعًا بساعديه بين يدى غريمه .. ثم ضغط بقوة إلى الخارج ليحرر عنقه من بين أصابعه الغليظة .

وقد أمسك به من كتفيه ليوجه له ضربة برأسه .. هوت على وجهه كالمطرقة وأصابته بالدوار .

وقبل أن يستعيد رشده عاجله (ممدوح) بلكمة فى فكه أفقدته الوعى تمامًا .

حيث سارع (بابلو) و (خوميز) بانتشالهما من الماء ليصعدا إلى سطح السفينة .

www.riwaya.ga

حيث سارع (خوميز) بتقييد (شامل) ، بينما تحدث (بابلو) إلى (ممدوح) قائلًا :

ـ خدمة أخيرة أقدمها لك يا صديقى تتمثل فى نصيحة هامة .. يتعين عليك تسليم هذا الرجل إلى سانشيز المدعى العام المكسيكى هو قريب لى قرابة بعيدة ويعتبرنى خارجًا عن القانون وإن كانت لا تتوافر لديه الأدلة الكافية التى تدينني .

لكنى واثق أنه لو توافرت لديه هذه الأدلة فلن يتردد فى اعتقالى بالرغم من قرابتنا .

إنه رجل نظيف وقوى ويحترم القانون والعدالة ولن يتردد فى تقديم هذا الوغد إلى القضاء مدعمًا بالأدلة لينال العقاب الذى يستحقه بالرغم من رعاية بعض المسئولين الكبار له وحمايته .

ابتسم (ممدوح) قائلًا :

ـ نصيحة قيمة بالفعل .

ـ وأنا سأساعدك على تنفيذها .

أخرج (ممدوح) من بين طيات ثيابه كيسًا بلاستيكيًا مغلقًا بإحكام يحتوى على ميكروفيلم دقيق الحجم وشريط تسجيل بنفس الحجم تقريبًا ومجموعة من الأوراق وهو يتفحصها قائلًا :

www.riwaya.ga

ـ الحمد لله أن الماء لم يخترقها .

سأله (بابلو) قائلًا :

ـ وما هذا ؟

ـ أدلة الإدانة .. صور لمعامل الهيروين وحديث مسجل بين (شامل) وأعوانه وبعض الأوراق التى تثبت تزعمه لإمبراطورية المخدرات هنا .. أظن أنها لو وصلت إلى وسائل الإعلام المكسيكى بطريقة ما فسوف تدعم كثيرًا موقف قريبك المدعى العام .

ابتسم (بابلو) قائلًا :

ـ بالطبع .

بادر (خوميز) بالتحدث قائلًا :

ـ هل تترك لى هذه المهمة .. إننى أعرف كيف أضع تلك الوثائق بين يد الإعلام .

هذا إذا كنت ما زلت تثق بى سنيور (ممدوح) .

ابتسم (ممدوح) وهو يربت على كتفيهما قائلًا :

ـ إننى أثق بكما ثقة كاملة .. ولن أنسى مطلقًا ما قدمتماه لى من خدمات جليلة .

وفى اليوم التالى فوجئ المدعى العام المكسيكى بطرد ضخم يصل إلى مكتبه .

www.riwaya.ga

فنظر إليه بدهشة وانزعاج قائلًا :

ـ ما هذا ؟

قال مساعده :

ـ لا أدرى .. هذا الطرد وصل صباحًا يا سيدى وعليه اسمك .

قال له متسائلًا وهو يقترب من الطرد :

ـ من الذى أرسله ؟

ـ إنه موقع باسم مجهول .

ـ وكيف سمحتم باستلامه دون تحديد هوية مرسله ؟ استدعوا خبراء المتفجرات فورًا .. فربما ....

قال مساعده مقاطعًا :

ـ لقد استدعيناهم بالفعل وهم فى طريقهم إلى هنا .

ولم ينقضِ سوى وقت قصير حتى حضر خبراء المتفجرات ليفحصوا الطرد بعناية وحذر .

ليفاجأوا فى النهاية بالرجل المخدر والمقيـد داخل الصندوق وبجواره نسخة من وثائق إدانته .

وقد وجد المدعى العام كارتًا معلقًا فى القميص الذى يرتديه (شامل) مكتوبًا عليه بخط كبير « مع خالص تحياتى » .

روايات مصرية
www.riwaya.ga

وفى أثناء ذلك كان (ممدوح) يستعد لركوب الطائرة المتجهة إلى القاهرة .

وقد استرعى انتباهه قبل مغادرة الكافيتريا التى تناول فيها قهوته داخل المطار تلك المذيعة على شاشة التليفزيون وهى تتحدث باستفاضة عن الوثائق التى تلقتها المحطة بشأن قائمة الاتهامات الموجهة ضد (شامل) وإمبراطورية المخدرات التى يديرها من داخل مزرعته فى (مانشانيلو) .

ابتسم (ممدوح) ملوحًا بيده إلى وجه (شامل) على الشاشة وهو يقول بسخرية :

- وداعًا يا عزيزى .. أرجو أن يكون وداعًا أبديًا كما قلت .

***

ما إن غادر (ممدوح) الطائرة حتى فوجئ بأحد زملائه يناديه قائلًا :

- (ممدوح) .. (ممدوح) .

- (عاطف) .. ماذا تفعل هنا ؟

- أنتظر عودتك .. اللواء (مراد) يريد أن يلتقيك بنفسه .

- سأذهب إليه بالطبع .. لكنى سأتوجه إلى منزلى أولًا وآخذ حمامًا ثم أذهب إلى الإدارة .

قال زميله وهو يمسك بمرفقه :

- بل ستقابله الآن .. إنه ينتظرك فى سيارة خاصة أمام المطار مباشرة .

www.riwaya.ga

نظر إليه بدهشة قائلًا :

ـ هل الأمر على هذا القدر من الأهمية ؟

ابتسم (عاطف) قائلًا :

ـ ألا تدرى أنك أصبحت بطل الموسم ؟

نظر (ممدوح) إلى السيارة السوداء الفارهة مكتفيًا بالإشارة بإصبعه إليها وهو ينظر إلى زميله .

حيث أومأ الأخير برأسه دون أن ينطق أحدهما بكلمة .

وما إن اقترب منها حتى فتح بابها الخلفى .

حيث نظر إلى الداخل قائلًا :

ـ سيادة اللواء .

أشار اللواء (مراد) إلى المقعد المجاور قائلًا :

ـ اركب .

جلس (ممدوح) بجواره حيث رمقه بنظرة غاضبة وهو يقول :

ـ أنت عنيد للغاية وأنا لا أحب من لايلتزمون بالأوامر ،

ـ يا فندم أنا ...

قال له مقاطعًا :

ـ لقد طلبت منك العودة إلى القاهرة بعد تفجير المزرعة مباشرة أليس كذلك ؟

www.riwaya.ga

ـ أجل لكن القدر جعلنى ألتقى بـ (شامل) ثانية .. وقد شرحت لسيادتك ما حدث فى آخر اتصال شفرى أرسلته لك .

وأظن أن هذا كان لسوء حظه وحسن حظى .. وأعتقد ....

قاطعه اللواء (مراد) مرة ثانية وقد انفرجت أساريره هذه المرة قائلًا :

ـ اعتقد أنك نجحت فى أداء مهمتك بنسبة مائة فى المائة وضرب براحته على ذراع (ممدوح) مستطردًا :

ـ وقد جئت لأهنئك بنفسى على هذا العمل البطولى .

تنفس (ممدوح) الصعداء وهو يقول :

ـ حمدًا لله .. لقد ظننت للحظة أننى سأجازى على فعلته .

ـ تجازى .. بل ستنال مكافأة كبيرة .. بالمناسبة ستذهب معى الآن إلى النادى لنتناول الإفطار سويًا وتحكى لى عن مغامرتك تفصيليًا أثناء تناول الإفطار .. وقبل أن تقدم تقريرك الرسمى .

ـ يشرفنى ذلك يا فندم ، خاصة أننى لم آكل شيئًا فى الطائرة وأشعر أننى جائع جدًا .

ـ حسنًا .

وتناول اللواء (مراد) هاتفه ليحدث إدارة النادى قائلا :

www.riwaya.ga

ـ اسمع يا (إبراهيم) .. أنا اللواء (مراد) ومعى المقدم (ممدوح) فى طريقنا الآن إلى النادى .. أريد أن تعد لنا إفطارًا شهيًا .. كرواسان وباتيه ومربى ....

قاطعه (ممدوح) قائلًا :

ـ معذرة يا سيدى .. لكن كنت آمل فى إفطار مصرى شعبى خالص .. بعد أن سئمت من الأطعمة المكسيكية .

ـ لكن هذا ليس طعامًا مكسيكيًا الذى أطلبه .

هز (ممدوح) رأسه قائلًا :

ـ لقد اشتقت لطعامنا الشعبى المصرى المحبب .

أطلق اللواء (مراد) زفرة قصيرة قائلًا :

ـ تريد إفطارًا شعبيًا .

عاد ليقول لمحدثه :

ـ حسنًا يا (إبراهيم) ألغِ الكرواسان والباتيه .. أعد لنا طبقين من الفول المدمس بالزيت والليمون وبطاطس محمرة وبعض المخللات ، أشار (ممدوح) إليه بإصبعه وهو يهمس قائلًا :

ـ وفلافل ساخنة (طعمية) .

رفع اللواء (مراد) حاجبيه عاليًا وهو يحدجه بنظرة ممتعضة مرددًا :

ـ فلافل .

ـ أجل .. من فضلك يا فندم .

أردف اللواء (مراد) قائلا :

ـ وفلافل يا (إبراهيم) .. واحرص على أن تكون ساخنة .

***

(تمت بحمد الله)

لتحميل المزيد من الروايات الحصرية
زوروا موقعنا
مكتبة رواية
www.riwaya.ga

www.riwaya.ga

87
المكتب رقم 19
مجموعة روايات بوليسية للشباب من الخيال العلمي

شريف شوقي

إمبراطورية الشر

تحول إليه قائلًا :

ـ حسنًا سنيور ممدوح .. لقد عدت للحياة مرة أخرى لكن هذه المرة بإشارة منى .. وهذا يعنى أن بإمكاننا التفاهم سويًا .

لديك معلومات هامة بشأن نشاطى السرى هنا ولدىَّ أيضًا معرفة بما تسعى وراءه من خلال تواجدك فى هذا المكان .. وذلك قد أوجد مشكلة حقيقية بالنسبة لكلينا .

12 / 12 / 017

www.rewayatmasreya.com
facebook.com/rewayatmasreya
الخط الساخن
19350
العربية الحديثة

20003087

www.riwaya.ga